



مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

الإسلاميون في الخليج القضايا

الكتاب الخامس والأربعون – سبتمبر (أيلول) 2010

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

السلفيون أهل الحديث دراسة في فكر المحتلين للمسجد الحرام

منصور النقيدان(*)

مدخل

في عام 1990 لفت انتباه أجهزة الأمن السعودية أن الأشخاص الذين تستوقفهم نقاط التفتيش الأمنية ولا يحملون (التابعة) أو بطاقة الهوية، هم بازدياد. وكشفت التحقيقات أن بعضاً منهم كان يمزق بطاقته، بسبب الصورة الملصقة التي كانوا يعتقدون تحريمها.

(*) باحث وكاتب سعودي، المدير العام لمركز المسبار للدراسات والبحوث.

كان أولئك الشباب بعثاً جديداً لجماعة انتعشت في سبعينات القرن الماضي، ومع حلول عقد الثمانينات كانت في ما يبدو في حالة انقراض وتآكل، ولم يكن قد بقي من معتنقي أفكارها إلا قلة من الشيوخ والكهول موزعين في صحراء نجد وبواديها، وآخرون منهم كانوا يقطنون الكويت⁽¹⁾ واليمن. كان السلفيون (أهل الحديث)، قد خاضوا صدامات مع فقهاء السعودية، وتعرضوا للسجن مرتين أو آخر السبعينات من القرن الماضي، واستيقظ العالم أجمع على إعلانهم عن ظهور مهديهم المنتظر صبيحة الأول من شهر محرم 1400هـ/20 نوفمبر 1979م.

كان نقد أهل الحديث اللاذع لمشايخ وفقهاء الحنابلة، وامتون الفقه ك «زاد المستقنع» وغيره، وتجهيلهم لعلماء الوهابية وسخرتهم منهم سبباً في موجة من العداة تجاههم من قبل نظرائهم من المشتغلين بعلوم الشريعة والحنابلة من الفقهاء والقضاة، لهذا حينما انبعثت هذه الموجة أواخر الثمانينات لم تخطئهم العين، فقد كانت شعورهم الطويلة، وثيابهم القصيرة حتى أنصاف الساقين، ولبس بعضهم للخواتم بأيديهم،

(1) يذكر محمد الحسين وهو باحث سعودي كان في نهاية الثمانينات ممن تأثر بموجة البعث الجديدة لفكر الجماعة أنه كان "هناك حوالي ستة أو سبعة أشرطة سُجِّلت في الكويت في عام 1988 وكانت تحوي مناظرة بين بقايا "الإخوان" "أهل الحديث" وبين بعض السلفيين من جمعية إحياء التراث، وكان يمثل وجهة نظر الإخوان عبداللطيف الدرياس، وكان الدرياس يتولى الدفاع عن وجهة نظر "الإخوان" الذين احتلوا الحرم وأعلنوا ظهور المهدي، وأذكر أن بعضاً ممن سجنوا عقب احتلال الحرم لسنوات، خرج وله موقف معارض لكل من ينتقد الحكومات وخصوصاً ضد عصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي)، وقد حدث عدة مناظرات في هذا الشأن في جواخير الكويت، وقد حضرت بعضاً منها في عامي 1988. هناك فترة كادت أن تكون فترة ذهبية من 1987 إلى ما قبل احتلال الكويت، وذلك بعد خروج عبداللطيف الدرياس من السجن 1987، فقد تشكلت قوة علمية لا بأس بها لأهل الحديث في الكويت بفضل الدرياس، فالتف حوله الإخوان وكان عصام البرقاوي حينها متواجداً في الكويت وهناك طالب علم آخر اسمه أبو أيوب، وقد تعرّف عليه في الكويت وعند الشيخ بدیع الدين في سعيد آباد-الباكستان في عام 1988"، محمد الحسين، رسالة شخصية للباحث عبر الإيميل 21 أغسطس 2010.

ومطالبتهم الخطباء والوعاظ بأن يؤكدوا صحة الأحاديث التي يروونها بين الجمهور، تذكر بأيامهم السالفة ومأساة اقتحامهم للمسجد الحرام.

في نهاية سبعينات القرن الماضي كان تقاطع أفكار أهل الحديث الجدد الذين كانت تشكل الرياض والمدينة المنورة قاعدتين أساسيتين لهم بأفكار إخوان بريدة -وسط السعودية- الذين كانوا يهجرون مدارس الحكومة ووظائفها سبباً في تقارب حذر بين الجماعتين. فإخوان بريدة رغم هجرانهم للعمل في مؤسسات الحكومة، كانوا يدينون بالولاء التام للأسرة المالكة ولولادة أمرهم، ولا يقبلون نقد علمائهم وفقهائهم وكتب الفقه التي يتعلمون منها في مساجدهم، خلافاً لأهل الحديث كما سيأتي بيانه وتفصيله.

وفي عام 1989 عزمت مجموعة من وجهاء إخوان بريدة وبعض المشايخ فيها على رفع الأمر إلى السلطات، وتحذيرها من أن الأمر أصبح مخيفاً ومستفحلاً، ولا يجوز السكوت عنه؛ لولا وساطة من بعضهم بوعود قطعها أن تُعالج المسألة، بطريقة أكثر حكمة، بعيداً عن الحكومة وأجهزتها الأمنية.

كانت نشرات «أهل الحديث» في السبعينات تُوزع خفية قبل الفجر في المساجد وعلى زجاج السيارات وكانت تؤكد على أهمية سنة الرسول، والأخذ بها، وتعيب على المذاهب الفقهية تحكيم أقوال الرجال في دين الله، وتنعي على الحكومات والمجتمعات بعدهم عن شرع الله والأخذ بسنة رسول الله.

جاءت السنوات الثماني التي امتدّت من 1987 وحتى 1995 لتكون فترة ازدهار وانبعاثٍ ثانٍ لأهل الحديث، وبعدها ذبولهم وانكفاؤهم في السعودية واليمن والكويت، ولكن منذ 1995 حتى 2003، كانت هذه المجموعة قد أعيد تشكيلها مرة أخرى، ودخلت طوراً آخر عرف فيما بعد عند المراقبين والباحثين بـ «السلفية الجهادية» التي تجعل من جهيمان العتيبي رمزاً وشخصية ملهمة، وكان منظر الجهادية السلفية الأردني عصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي) جسراً ووصلة تحوّل رئاسة في كل هذا.

تقتصر هذه الدراسة على شرح أسباب نشوء هذه الجماعة وأهم أفكارها وشيوخها والشخصيات المؤثرة داخلها والانشقاقات التي عرفتها، إلى قيام عشرات منهم باحتلال المسجد الحرام وإعلان مهديهم المنتظر، ثم القضاء على حركتهم بعد أسبوعين حيل فيهما بين المسلمين وبين الطواف والصلاة في أقدم مساجدهم.

الحالة الاجتماعية والدينية

يصف عالم دين سعودي الحالة الدينية والاجتماعية والثقافية في أوائل الخمسينات الميلادية «شغل الناس بأمور سياسية ومذاهب فكرية كالناصرية والقومية العربية الاشتراكية وغيرها بسبب الإعلام المنحرف والموجه... ثم أصابني ما أصاب الناس فانصرفت خمس سنوات عن دروس الشيخ ابن سعدي، واشتغلت بالزراعة في الوادي مع الوالد، ولم أكن أذكر

أو أراجع العلم الذي حصلته، وكدت أنسى القرآن، ولم يكن يحضر حلقة الشيخ ابن سعدي سوى عدد بسيط»⁽²⁾، وفي عام 1960 أرسل عبدالرحمن الدوسري، وهو عالم دين كويتي رسالة إلى أحد كبار علماء الدين في السعودية وهو عبدالعزيز بن باز، يحثه فيها على مطالبة الملك سعود بن عبدالعزيز بمنع الصحف والمجلات والنشرات الأجنبية وإصلاح التعليم وإلحاق مدارس البنات برئاسة المعاهد التي يشرف عليها المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وتخفيض عدد مدارس البنات وقصر المدارس الثانوية على المدن الكبرى فقط مثل الرياض وجدة وبريدة وتقوية مادة الدين.

وكتب الدوسري رسالة أخرى يحذّر فيها من الجيش الجرّار للمعلمين الأجانب الذين «لا تسمح لهم حكوماتهم بالسفر إلى السعودية حتى يخضعوهم لدورة في الأفكار القومية»، وحذر الدوسري أيضاً من كثرة المدارس الثانوية ودعا إلى الاستغناء قدر المستطاع عن المدرسين من الجمهورية المصرية وأضاف «والأمر المهم جداً هو عدم ابتعاث أحد من طلبة المملكة إلى الجمهورية، فإن صرفهم إلى أمريكا أحرى نفعاً وأقل ضرراً»⁽³⁾. ويصف المستشار السابق في وزارة العدل السعودية عبدالمحسن العبيكان الحالة الدينية للمجتمع السعودي نهاية الخمسينات «في تلك الفترة لم يكن يصلي إلا كبار السن، أما غالب الشباب فهم لا يصلون ويستهزئون

(2) العالم هو محمد بن صالح بن عثيمين، وهو فقيه وأستاذ جامعي وعضو هيئة كبار العلماء (29 مارس 1929 - 5 يناير 2001). مازن الغامدي المعروف بـ "مالك الرحبي". رحلتي إلى النور، 22 يونيو 2005. ص 141-142. نشرت في مواقع كثيرة على الإنترنت منها صيد الفوائد:

<http://www.saaaid.net/book/open.php?book=1962&=93>

(3) كلتا الرسالتين في: محمد الحمد، ومحمد موسى. الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء. ص 243-246، دار بن خزيمة، الرياض، 2001.

بمن يصلي، إلا القليل النادر منهم. كان الشباب يرون الصلاة نوعاً من التخلف⁽⁴⁾. وهو ما يؤكد مقبل الوادعي في شرحه للأسباب التي أوصلت الجماعة السلفية المحتسبة، إلى نهايتها المؤسفة⁽⁵⁾.

احتساب جماعي

كانت البلاد قد عاشت احتجاجات جماعية قام بها محتسبون في العاصمة الرياض وفي المدينة المنورة. احتجت مجموعة منهم أمام مبنى التليفزيون في العاصمة الرياض قادهم فيها أمير شاب في الرابعة والعشرين من عمره، وهو ابن أخ الملك الأمير خالد بن مساعد بن عبدالعزيز، وقد لقي مصرعه إثرها في منزله في سبتمبر 1965. جاء هذا التظاهر تجاوباً مع رفض علماء الدين والمطوعة للبت التليفزيوني⁽⁶⁾. وقد نشرت جريدة القبس الكويتية بعضاً من الوثائق البريطانية التي تحدثت عن مقتل الملك فيصل بن عبدالعزيز سنة 1975 على يد ابن أخيه فيصل بن مساعد، وعلاقة ذلك بمقتل شقيقه الأمير خالد بن مساعد⁽⁷⁾.

(4) جريدة المدينة، ملحق الرسالة، 2 مارس 2006.

(5) مقبل الوادعي، المخرج من الفتنة، ص 141، ط1، دار الحرمين، القاهرة 1984. وقد ذكر أن ضغط الآباء والأقارب على من تمسك بدينه من الشباب والسخرية بالمتدينين أحد أسباب تطرف الجماعة. وفي كلام الوادعي إشارة إلى أن الصحوة الإسلامية كانت في بداياتها الأولى طوال عقد السبعينات، ولم يكن وقتها للمطوعة أي تأثير اجتماعي، خلافاً لما أصبح الحال عليه بعد ذلك في ثمانينات القرن الماضي.

(6) مضايي الرشيد، تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث، دار الساقى ص 171. والأمير طلال، مصدر سابق، ص 260.

(7) جريدة القبس الكويتية 23 يناير 2006، والوثائق مؤرخة في 26 مارس و22 و4 و29 أبريل 1975. أفرج عنها عام 2005، وتحدثت عن مقتل الملك فيصل بن عبدالعزيز سنة 1975 على يد ابن أخيه فيصل بن مساعد شقيق الأمير خالد. تشير الوثائق إلى مقتل الأمير خالد بن مساعد وأسبابه، وقد نسب السفير البريطاني الحديث إلى الأمير سلطان بن عبدالعزيز نائب أمير الرياض.

تصاعدت مطالب العلماء بأن يكون لهم حظ أكبر في الرقابة على الأنظمة والقوانين الصادرة من قبل مجلس الوزراء، ولقيت مطالب هيئة الأمر بالمعروف بغلق أستوديوهات التصوير في الرياض موافقة من الملك سعود في أيام حكمه الأخيرة، فقامت الحكومة بإيجاد حل وسط بأن أمرت برفع الياقظات عن الأستديوهات وإزالة واجهاتها الزجاجية، والإبقاء عليها⁽⁸⁾.

أما في منطقة الحجاز التي كانت متحررة نسبياً من سطوة مطاوعة الرياض فقد اتخذت الاحتجاجات شكل احتساب جماعي، حين قامت مجموعة من المحتسين بتحطيم بعض واجهات أستديوهات وتمائيل العرض في محلات الملابس النسائية في المدينة عام 1965، تلاها هجوم آخر على أستوديوهات التصوير ومحلات ملابس نسائية في المدينة نفسها، وقد سجن المتورطون أياماً، وكان من بينهم الشيخ محمد بن عبدالعزيز الشدي وهو من علماء حريملاء-شمال غرب الرياض⁽⁹⁾.

(8) أليكسي فاسيليف، تاريخ العربية السعودية، ص 488. شركة المطبوعات للتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 2000.
 (9) قام الشدي (1936 - 30 نوفمبر 2005) بزيارة بريدة صيف 1986، وحكى هذه القصة وكنت ممن حضرها، اختلف الشدي مع "أهل الحديث" في نهاية السبعينات بسبب موقفهم من الفقهاء الحنابلة، وهجاهم بقصيدة شهيرة رفعها إلى الملك خالد، قبل احتلال الجماعة للمسجد بفترة وذكر أنه تعرض للتهديد من قبل جهيمان نفسه بعد القصيدة. جاء ذكر هذه الوقائع في: ناصر الحزيمي، لقاء مصور مع مكتبة الملك فهد الوطنية 2001 ج1، ولقاء خاص مسجل أجراه الباحث معه في الرياض في يناير 2006. وناصر الحزيمي كاتب سعودي. ولد عام 1958 في الزبير جنوب العراق، وانتقل إلى الرياض مع والده وهو في الحادية عشرة، وتعرف على الجماعة السلفية عام 1975 في الحج، وأصبح من المقربين إلى جهيمان العتيبي ورفيقه في بعض أسفاره وكتب له بعض المراسلات، وقد سجن في 5 ديسمبر 1979، وكان من أوائل من أفرج عنهم في الدفعة الأخيرة من الجماعة عام 1986. كتب الحزيمي شهادته (ذكرياتي مع جهيمان العتيبي) ونشرها مركز المسبار للدراسات في كتابه الثالث والأربعين (الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج) يوليو 2010. أجرت معه مكتبة الملك فهد الوطنية 2001 لقاء مطولاً في ست ساعات يحكي فيه سيرة حياته مع الجماعة السلفية، وقام الباحث بإجراء لقاء معه مسجل في يناير 2006 في الرياض، كما نشر الحزيمي ثلاث مقالات في جريدة الرياض السعودية عن الجماعة وتأثير جماعة التكفير والهجرة عليهم، في 6 سبتمبر 2004، و19، و26 مايو 2005، وسوف يأتي الاستشهاد بالحزيمي كثيراً في هذه الدراسة.

التأسيس

في حومة هذه التحولات التي عاشتها السعودية تأسست «الجماعة السلفية المحتسبة» التي عُرفت فيما بعد بـ «أهل الحديث»⁽¹⁰⁾ برعاية وإشراف مباشر من نائب رئيس الجامعة الإسلامية عبدالعزيز بن باز، الذي كان يحظى بدعم من مفتي السعودية رئيس الجامعة محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ويتمتع بنفوذ كبير وبثقة الملك فيصل بن عبدالعزيز.

ولدت الجماعة بعد اجتماع في الحرة الشرقية في المدينة ضم كلاً من سعد التميمي وسليمان بن شتيوي الحربي وجهيمان العتيبي وناصر بن حسين الحربي، وكان لهم جميعاً تجربة سابقة مع جماعة الدعوة والتبليغ، واختاروا أن يكون اسمها (الجماعة السلفية)⁽¹¹⁾ وعرضت الفكرة على عبد العزيز بن باز، فدعمها وأعلن عنها ولكنه فضّل أن يكون اسمها (الجماعة السلفية المحتسبة)⁽¹²⁾. وكان نشاط الجماعة في السنوات الأولى مزيجاً

(10) وقد خصص الوادعي فصلاً عن الجماعة في كتابه (المخرج من الفتنة) بـ "اسم أهل الحديث". وهو الذي اعتمده في عنوان الدراسة. وسوف يأتي ذكرهم في ثناياها بأوصاف متعددة كلها كانت تعرف بهم وهي "الإخوان"، و"أهل الحديث"، و"السلفية المحتسبة".

(11) الحزيمي، لقاء مع الباحث في الرياض 2006. لا تتوفر معلومات كافية عن ثلاثة من المؤسسين للجماعة الواردة أسماؤهم في الأعلى، ولكن الأحداث اللاحقة بعد انشقاق الجماعة في أواسط السبعينات وعدم تعرضهم للإيقاف والسجن، يدل على أنهم ممن نأوا بأنفسهم عن جناح جهيمان، وفضّلوا تمييز أنفسهم عن البقية والتزام خط العلماء التقليديين. وقد جاءت الإشارة إلى التميمي والشتيوي في: مقبل الوادعي، المخرج من الفتنة، الطبعة الأولى، الصفحات 141-144 و ص 109، الطبعة الثانية.

وناصر الحزيمي، ذكرياتي مع جهيمان، كتاب المسبار الثالث والأربعين (الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج). ص 255 و 272، يوليو 2010.

(12) ولكن يبدو أن جهيمان لم يكن راضياً بهذه التسمية، يقول مقبل الوادعي إن "الشيخ الألباني زارنا ونحن بالمدينة وكان يلح مع مجموعة أن نسمي أنفسنا بالسلفيين، وأنا وجهيمان أبيتنا أن نسمي أنفسنا بالسلفيين ونحن سلفيون منذ زمن... لكن مجرد التسمية بها تحجر، فالحزبية ضيقت العطن وضيقت النطاق"، المخرج من الفتنة، ص 311.

من طريقة جماعة الدعوة والتبليغ وتعاليم عالم الحديث السوري ناصر الدين الألباني، ومن عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب، والاسترشاد بتوجيهات ابن باز. وقد ساهم ذلك في انتشار مراكز الجماعة وتضاعف أعداد المنتسبين إليها، ولكنها قصرت معظم نشاطها على الهجر والقرى ومناطق تواجد البادية، واختارت الغالبية العظمى من الجماعة وصف أنفسهم بالإخوان⁽¹³⁾.

تأثير الألباني في الجامعة الإسلامية

ولد محمد ناصر الدين الألباني في ألبانيا 1914، ثم انتقل مع والده إلى دمشق وهو ابن 8 أعوام، تلقى التعليم على يد والده ودرس الفقه الحنفي، ثم انشغل بدراسة علم الحديث حتى أصبح من كبار علماء الحديث. انتقل للتدريس في الجامعة الإسلامية منذ تأسيسها في عام 1960، بدعوة من صديقه نائب رئيس الجامعة ابن باز، وبقي فيها حتى أنهى عقده بعد أربع سنوات بسبب تهم وجهت إليه من قبل زملائه بإثارة الفتنة والتحريض على انتقاد الفقهاء وإثارة تمرد الطلاب على أساتذتهم، وفي عام 1999 نال جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام، وألف عشرات الكتب والتحقيقات لكتب الحديث والسنة، وهو من أكثر الشخصيات السنية تأثيراً في القرن

(13) كان أفراد الجماعة يفضلون أن ينادوا بعضهم بـ (الإخوان)، وقد ذكر جهيمان في رسالة "الميزان في حياة الإنسان" لقاءه بأحد طلاب الدراسات العليا "فقال لي لما علم أنني من الإخوان إنني قد قابلت أحد إخوانكم في شقراء". رسائل قائد المقتحمين إلى الحرم، تحرير رفعت سيد أحمد. ص 163. مكتبة مدبولي. ط الثالثة. 1989. وفي قصيدة لشاعر الجماعة اليمني أحمد المعلم باسم (هذه دعوتنا) خاطب من اعتقلوا من الجماعة بـ (يامعشر الإخوان سيروا وابشروا...). المرجع السابق ص 179. وقد التقى الباحث بعدد ممن كانوا مع الجماعة وكان الوصف المحب لهم هو "الإخوان"، ولكنهم حينما يتحدثون عن "منهجهم"، فهم (أهل الحديث). وقد ذكر جهيمان في (الفتن وأشرار الساعة ص 12)، أن التسمية التي تطلق على الجماعة تدور بين اثنتين: مطوع، أو الإخوان.

العشرين ومن أقطاب انبعاث السلفية العلمية (أهل الحديث) في العقود الأربعة الأخيرة، توفي في 2 أكتوبر 1999.

تأثرت الجماعة بأفكار ناصر الدين الألباني، واقتفت تعاليم الأب الروحي للجماعة الشيخ عبدالعزيز بن باز⁽¹⁴⁾. عمل الألباني مدرساً للحديث في الجامعة الإسلامية منذ تأسيسها عام 1960 حتى أنهى عقده عام 1964. ذكر الألباني بأنه كان قريباً من طلبته وأنه اتفق مع محمد عبد الوهاب البنا (قُتل ابنه في احتلال الحرم وكان من المتورطين مع الجماعة) بأن يقوموا كل أسبوع برحلة مع طلبتهم، ولأن الألباني - كما يصف نفسه - قد جاءهم بـ «علم لم يسمعوا به من قبل» فقد ارتفع مستوى علم الطلبة بالحديث وعلمه، وخاضوا نقاشات مع أساتذتهم في الجامعة تسببت بإحراجهم، فدفعت الحسد زملاءه المدرسين إلى رفع شكاوى ضده تتهمه بإثارة الفتنة داخل الجامعة والتطاول على الأئمة الأربعة مما تسبب في إنهاء عقده رغم وساطة صديقه ابن باز⁽¹⁵⁾.

(14) ولد عبدالعزيز بن باز وسط السعودية في عام 1912، فقد بصره وهو في السابعة عشرة وتلقى العلم على مفتي السعودية ورئيس القضاة محمد بن إبراهيم، وسعد بن عتيق وعبد الله بن عبد اللطيف، تولى القضاء وهو في العشرين من عمره، وتولى منصب نائب رئيس الجامعة الإسلامية منذ تأسيسها عام 1960، وأصبح رئيسها منذ 1970. ولدت الجماعة السلفية المحتسبة (أهل الحديث) برعاية منه في 1965. طبع له عشرات الرسائل وآلاف الفتاوى، ومن أشهر فتاواه فتوى طويلة أصدرها بكفر الرئيس جمال عبدالناصر في 1964، بعنوان (ردة عن الإسلام واشتراكية حرام)، وفتوى أخرى بحق الرئيس التونسي أوردقبة، وعين الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد منذ 1975، ومفتياً للسعودية منذ 1992. توفي في 14 مايو 1999.

(15) تمتع الألباني بعلاقة وطيدة مع الجماعة السلفية المحتسبة، وكان مستشاراً ومفتياً لأعضائها، وبعد وقوع الاحتلال مباشرة أشيع أنه ضمن المشاركين في الاقتحام، ووجهت إليه أصابع الاتهام في قضية المهدي، ولكنها لم تثبت. امتنع عن الحج سنوات، حتى 1990. انظر محمد إبراهيم الشيباني. حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، الجزء الأول، ص 58-62 مكتبة السداوي، 1987. أيضاً: الألباني سيرة ذاتية صوتية. الجزء الثالث، دار الآثار، عمان، الأردن، بدون تاريخ. أيضاً: كلام الشيخ على حادثة جهيمان واحتلال الحرم، تسجيل صوتي، موقع أهل الحديث والأثر: <http://www.alathar.net/home/esound/index.php?op=shbovi&shid=1&boid=48>

ويبدو أن الخمس سنوات الأولى من إنشاء الجامعة الإسلامية قد شهدت تنامي هذا التوجه داخل الجامعة وخارجها، فقد ذكر حمود بن صالح العقيل إمام جامع الأمير متعب بن عبدالعزيز بالرياض والداعية بدار الإفتاء والإرشاد 1980، في خطبة ألقاها قبل إنهاء احتلال المسجد الحرام بيوم واحد في 2 ديسمبر 1979 أن «المدينة المنورة جمعت مزيجاً من الوافدين للدراسة في الجامعة، وكان أكثر الطلاب مختلفين في العقائد والفروع وفي هذا الجو نشأت مجموعة تدعو إلى نبذ المذاهب الفقهية والأخذ بالكتاب والسنة، وترك البحث في كتب الفقه وما استتبطه الفقهاء، وقد حدثت منهم غرائب وشذوذ أوجدت الفرقة والاختلاف واتساع الشق وحدوث الفوضى في الدين، وسارع ولادة الأمر في المملكة حينذاك إلى وأد الفتنة وقتلها في مهدها ففرقوا غير السعوديين عن المدينة بإرجاعهم إلى أوطانهم، وقد نامت الفتنة طويلاً نتيجة هذا الإجراء الحكيم»⁽¹⁶⁾.

نشاط الجماعة

اقتصرت أنشطة الجماعة في السنوات العشر الأولى على الدعوة والوعظ واتباع القرآن والحديث الصحيح، ودم التقليد واقتصر معظم عملها في الهجر والقرى والبوادي، وكان لهم تأثير ظاهر في عدد منها غرب السعودية، ويبدو أن اقتصار الجماعة على الهجر والبوادي كان بسبب أن المدن والحواضر الكبيرة كانت مكتفية بعلمائها. ولهذا كان جهيمان يتفادى المدن، فقد كان يتحدث بالعامية ولم يكن يمتلك القدرة

(16) حمود العقيل، خطبة في جامع البديعة، تقرير سليمان العصيمي، جريدة الرياض، 12 يناير 1980.

على الحديث بالفصحى⁽¹⁷⁾، وكان للجماعة أيضاً بيوت تأوي من يرتادها في مكة والمدينة والرياض وحائل وساجر، وكان مقرها في مكة بيت «حوض البقر» في العزيزية والمسؤول عنه هو عايض بن دريمح، وفي المدينة كان لها بيت في الحرة الشرقية، وفي الرياض مسجد سكيرينة ومسجد الرويل بمنفوحة، وفي ساجر جنوب القصيم ومسقط رأس جهيمان العتيبي كان أمير الجماعة ابن غازي، وفي بريدة لم يكن لهم بيت ولكنهم كانوا يسكنون المدرسة الأهلية العلمية المعروفة بـ «المدرسة الدينية» في مبناها القديم شمال مسجد العيد القديم، وفي حائل كان بيت أبناء جارالله هو موئلهم، وكانت الغالبية من الجماعة تعيش في المدينة فهي مركز الجماعة ومهاجر المستجدين منهم⁽¹⁸⁾.

وفي موسم الحج من كل عام كانت الجماعة تقيم مخيمها وتستضيف أعداداً من العلماء وأساتذة الجامعة الإسلامية من السعودية ومن خارجها، ولكن الجماعة لم تصدر أية نشرات تعريفية عن أفكارها طوال عشر سنوات من تأسيسها حتى 1975، وهذا يعود إلى أن الجماعة كانت تعتبر نفسها امتداداً طبيعياً لمدرسة أهل الحديث ومنهج السلف، كما أن كتب الألباني وفتاوى ورسائل ابن باز اعتبرت مصادر كافية لفكرها، ويبدو أيضاً أن غالبية «الإخوان» من الجماعة كانوا ذوي سابقة مع جماعة الدعوة والتبليغ، وهي جماعة تفضل الانكماش وتزهد في التأليف، إضافة إلى تواضع تحصيلهم العلمي في الشريعة وعلومها، ولكن مع ظهور الانشقاق

(17) الحزيمي، لقاء مع الباحث، الرياض.

(18) الحزيمي، مكتبة الملك فهد.

منتصف السبعينات نشرت الجماعة رسائلها لتوضيح موقفها مما يشاع عنها من قبل خصومها وتبديد التهم التي وجهت إليها، وحرصاً من أعضاء الجماعة على تمييز أنفسهم عن مخالفيهم بشرح أفكارهم والتدليل عليها⁽¹⁹⁾.

أبناء البادية والهجر

ازدادت أعداد المنتسبين إلى الجماعة في سنوات قليلة، وغلب على أعضائها أبناء القبائل من بادية السعودية، وبعض من الحاضرة، وكثير من الطلاب الذين يدرسون في الجامعة الإسلامية من الكويت ومصر والعراق واليمن والباكستان، وفي لقاء أجرته جريدة السفير اللبنانية⁽²⁰⁾ أشار ولي العهد السعودي الأمير فهد بن عبدالعزيز إلى أن الجماعة كانت خليطاً من البدو والحضر. وقد ذكر مقبل الوادعي أن الجماعة في المدينة كانوا بدواً اتجهوا إلى علم الحديث وتعظيم الكتاب والسنة، «كانوا بدواً وبعضهم سائق وبعضهم يعمل في معمل بلوك»⁽²¹⁾، ولكنك تجد السائق منهم قد وضع «رياض الصالحين» على طبلون سيارته، يأتي الواحد منهم فيقيم بيننا أياماً ثم يعود إلى أهله وهو طالب علم، ولكنهم كانوا بدواً «لا يحسنون

(19) الحريمي، لقاء الرياض. في رسائل الجماعة التي نشرت مغفلة من التاريخ وخلا معظمها من اسم المؤلف استشهد بكتب الألباني وتفسير محمد الأمين الشنقيطي، وهو عالم موريتاني هاجر إلى السعودية في الخمسينات الميلادية، وكذلك مؤلفات حمود بن عبد الله التويجري وهو عالم سعودي كان كتابه (إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة) من المصادر التي اعتمدها الجماعة في تعزيز ظهور المهدي محمد بن عبد الله كما سيأتي.

(20) جريدة السفير اللبنانية، العاشر من يناير 1980.

(21) الطابوق.

الحديث باللغة العربية»، وذكر الوداعي أن المحققين من رجال الأمن السعودي سألوه قبل ترحيله إلى اليمن عن سبب انتشار دعوة الجماعة وكثرة أتباعها، فأجابهم بأنه هو يشعر بالحيرة إزاء ذلك ولا يملك جواباً⁽²²⁾.

تسرب الفكر التكفيري

منذ 1977 تطعّمت الجماعة بعناصر جديدة زادت من وعيها الحركي وفتحت نافذة جديدة على محرّمات لم يكن يسمح بالاقتراب منها، مثل اتهام الأسرة المالكة السعودية بتبذير ثروات البلاد، وإثارة النقاش حول مدى أحقيتهم بحكم البلاد من منظور ديني، وانتقاد علماء الحكومة - كما يصفونهم - وتكفير الحكومة السعودية، وقد تناقضت تصريحات المسؤولين السعوديين مع شهادات مقرّبين من الجماعة وأعضاء سابقين منهم حول حقيقة تأثر الجماعة بالتكفير والهجرة، فقد أكد وزير الداخلية الأمير نايف بن عبدالعزيز أن التحقيقات أكدت عدم وجود أشخاص يحملون فكر جماعة التكفير من الكويتيين والمصريين المتورطين مع الجماعة⁽²³⁾، بينما أكدت شهادات كل من مقبل الوداعي⁽²⁴⁾، وناصر الحزيمي خلاف ذلك، وذكر حمود العقيل في خطبته التي سبقت الإشارة إليها أنه «بعد وفاة الملك فيصل أخذت الفتنة تنمو شيئاً فشيئاً، حتى اتّسعت في عام 1396هـ/1975م، وزادت بشكل ملحوظ في عام 1397هـ/1977م،

(22) الوداعي، سيرة ذاتية ج 2، تسجيل صوتي - مكتبة أهل الحديث بدماج، بدون تاريخ. وقد أشار إلى ذلك أيضاً في كتابه المخرج من الفتنة.

(23) "وتموت الفتنة"، إصدار جريدة الندوة، ص 88، 1980.

(24) مقبل الوداعي، المخرج من الفتنة ص 142، الطبعة الأولى.

وفي عام 1398هـ/1978م دخلت عناصر أجنبية في العقيدة، وبعيدة عن عقيدة أهل السنة والجماعة، تنتمي إلى جماعة التكفير والهجرة بمصر، وقد نشطت في عام 1399هـ/1977م في المملكة، وكان المراقبون لها من طلاب العلم يعرفون أن قادتها وأقطابها لا يحملون للناس الهداية»⁽²⁵⁾ ولكن الحزيمي يذهب إلى أن تأثير جماعة التكفير كان مؤقتاً ثم تلاشى قبل احتلال الحرم بسنتين تقريباً⁽²⁶⁾. وقد ذكر الوادعي أن الألباني في زيارته إلى المدينة كان يقضي وقتاً في نقاش مع من يتأثرون بفكر التكفير حتى يتراجعوا عنه⁽²⁷⁾، وقد أوضح جهيمان معاناته من التهم التي وجهت إليهم بالتكفير⁽²⁸⁾.

الصدام مع الفقهاء وبدايات الانشقاق

ظهر انتقاد الفقهاء وأتباع المذاهب الأربعة قبل إنشاء الجامعة الإسلامية بسنوات، ويؤكد هذا برقية أرسلها مفتي السعودية محمد بن إبراهيم في عام 1377هـ/1956م إلى رئيس قضاة مكة عبد الله بن حسن

(25) حمود العقيل، مصدر سابق.

(26) الحزيمي، مكتبة الملك فهد.

(27) الوادعي، سيرة ذاتية، ج2. يذكر محمد الحسين أنه حتى عام 1988 كان بعض أهل الحديث على قناعة بأنه في فترة تشكل فكرة المهدي، كان بعض الإخوان المصريين يأتون إلى بيت الحرة الشرقية في المدينة، ويذكرون أنهم رأوا هذا الرجل (محمد بن عبد الله) في المنام على أنه المهدي، فكان لدى هؤلاء الإخوان شك بأن وزارة الداخلية السعودية كانت على علم بتوقيت دخولهم الحرم، وهناك من كان يرى أن هؤلاء المصريين كانوا مدسوسين ومخبرين، وفترة ثلاثة كانت تذهب إلى أن هؤلاء كانوا يكفرون الحكام من الجماعات الجهادية المصرية ولم يكونوا يؤمنوا بالمهدي، بيد أنهم يؤيدون الخروج على الحكومات. محمد الحسين، مصدر سابق.

(28) جهيمان العتيبي، مختصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص 126. رسائل قائد المقتحمين إلى الحرم، رفعت سيد أحمد.

عن وعاظ هنود (في الحجاز كما يبدو) يقومون بالتهجم على أئمة المذاهب الأربعة وأتباعهم والخط من أقوالهم⁽²⁹⁾. وليس واضحاً من برقية ابن إبراهيم ما إذا كان هؤلاء الوعاظ من جماعة الدعوة والتبليغ أو من مدرسة أهل الحديث من سلفيي الهند، وتشير بعض المصادر إلى أن من شاركوا في احتلال الحرم، كانوا ممن قرأ في كتب الشريعة، وحفظ غير قليل من الكتاب والسنة⁽³⁰⁾. وفي رسالة من مفتي السعودية محمد بن إبراهيم إلى أمير الرياض إشارة إلى شكوى أمير «دخنة» من وعاظ ومرشدين أجنب يقومون بجولات في أنحاء المملكة⁽³¹⁾، في الفترة نفسها التي تأسست فيها الجماعة السلفية المحتسبة، يؤكد ذلك أن مسجد سكيرينة في الرياض الذي كان يأوي أتباع الجماعة كان معروفاً بأنه كان مقر جماعة التبليغ والدعوة⁽³²⁾، وقد بدأت جماعة التبليغ نشاطها في السعودية والخليج مبكراً منذ 1947، فقد قام مؤسسها محمد إلياس بإعلانها عقب زيارته لمكة، ولا يستبعد أن تكون نواتها بدأت هناك⁽³³⁾.

انتقل ابن باز إلى العاصمة الرياض رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء عام 1975، وأتاب عنه أبا بكر جابر الجزائري، الأستاذ بالجامعة

(29) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم. جمع محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. الجزء الثالث عشر ص161-162 بتاريخ 28-3-1377هجرى/ 23 أكتوبر 1957. الطبعة الأولى. مطابع الحكومة بمكة المكرمة. 1979. أيضاً: فتوى لابن إبراهيم عن طرد مدرس يماني يفتي بمذهب أهل الظاهر. الجزء الثاني ص23، بتاريخ 1 رمضان 1389هـ/ سبتمبر 1969م. وكان بديع الدين الراشدي - كما سيأتي - يعقد لطلابه من أهل الحديث دروساً في كتاب المحلى. (30) محمد المجذوب، مجلة الجامعة الإسلامية، عدد، 44 ص20. أيضاً: ناصر الحزيمي، لقاء مع الباحث، الرياض.

(31) فتاوى ابن إبراهيم، ج 13، ص 159، بتاريخ 20 جمادى الآخر 1386/ 5 أكتوبر 1966.

(32) ناصر الحزيمي، ذكرياتي مع جيهيمان العتيبي، كتاب المسبار (الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج)، ص 250، يوليو 2010.

(33) فلاح المدير، الحركات الإسلامية في الكويت، السلفية والتبليغ، جريدة القبس، 27 نوفمبر 2006.

الإسلامية ليصبح مرشداً للجماعة⁽³⁴⁾، ولكن مع ازدياد أعداد أعضائها وغلبة العناصر الشابة وتنامي تمدد أهل الحديث في الجامعة الإسلامية، بدأ الخلاف بين أعضاء الجماعة وقضاة المدينة وأساتذة الجامعة يتصاعد بسبب النقد الشديد الذي كان يوجهه الطلاب للفقهاء ووصفهم بالتعصب والجهل بصحيح السنة وعلم الحديث.

كان الألباني يلتقي بالجماعة في مواسم الحج كل عام وينزل ضيفاً في المخيم التابع لها، فيستشار في شؤونها ويستفتي فيما أشكل من مسائل علمية وفكرية، وكانت كتبه مرجعاً للجماعة، كما كان يحل ضيفاً في الحج في مخيم الجماعة ويجتمع بزملائه من الأساتذة وبطلابه، وقال: «رأيت جهيمان أكثر من مرة وكان يسألني ويستفتيني»⁽³⁵⁾. ومع ازدياد الخلافات داخل الجامعة والصدام مع علماء المدينة وأساتذة الجامعة لم يتمكن ابن باز من تهدئة الشقاق رغم اجتماعات راب الصدع، وقد ذكر مقبل الوادعي أن جهيمان اتهم أحد كبار الجماعة بأنه كان مخبراً لأجهزة الأمن⁽³⁶⁾.

صعود نجم جهيمان العتيبي

ولد جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي عام 1938 تقريباً في ساجر جنوب القصيم، وهي إحدى هجر الإخوان البدو البالغ عددها ثلاث وخمسون.

(34) أبو بكر جابر الجزائري، ولد في بسكرة في الجزائر 1921، هاجر إلى السعودية، وقام بتدريس التفسير في الجامعة الإسلامية والمسجد النبوي بالمدينة المنورة.

(35) الألباني، سيرة ذاتية مسجلة ج3. أيضاً: الحزيمي، ذكرياتي مع جهيمان العتيبي، والحزيمي، مكتبة الملك فهد.

(36) المخرج من الفتنة ص 141 - 144. ط1. 1984، وقد سرد أسماء أربعة من علماء المدينة الذين اصطدمت بهم الجماعة، ووصفهم بأنهم "علماء سوء"، وهم ابن زاحم، وعبد العزيز بن صالح، وعبد القادر شيبه الحمد.

وقد تأسست الهجرة عام 1913، وكان والده من الإخوان المحاربين في جيش الملك عبدالعزيز، وكان صديقاً لسلطان بن بجاد بن حميد، ويقال إن سلطان أوصاه بالفرار عقب معركة السبلة 1929 وعدم تسليم نفسه، وتوفي في حادث سيارة عام 1966. وكان سيف العتيبي، جد جهيمان لأبيه، مشهوراً بـ (سيف الضان) وكان فارساً غازياً قتلته قبيلة أخرى انتقاماً لقتله أشخاصاً من أبنائها في إحدى غزوات البادية⁽³⁷⁾. لم يكمل جهيمان تعليمه المدرسي بعد الرابعة ابتدائي، وفي منتصف الخمسينات التحق بفوج بن ربيعان في الحرس الوطني⁽³⁸⁾، وتشير بعض المصادر الأمنية إلى أن جهيمان سافر إلى الكويت عام 1959 وسكن الرميلة، حيث كان في نيته الالتحاق بالجيش الكويتي إثر تهديدات حكومة عبد الكريم قاسم باحتلال الكويت ولكنه عاد إلى السعودية والتحق بالحرس الوطني.

تأثر جهيمان بجماعة الدعوة والتبليغ في بداية شبابه أوائل الستينات، وصحب أفرادها فترة، وفي منتصف الستينات اعتنق جهيمان سلفية أهل الحديث متأثراً بناصر الدين الألباني ومؤلفاته وتعاليمه التي زرعها بين طلابه في الجامعة الإسلامية، ومريديه الذين كانوا يلتقون به في كل عام. كما تتلمذ على ابن باز، وحضر دروساً في دار الحديث التابعة للجامعة الإسلامية⁽³⁹⁾، وشارك في تأسيس الجماعة السلفية المحسنة عام

(37) الحزيمي، مكتبة الملك فهد. أيضاً: مشاري الداودي، ربع قرن على حركة جهيمان ماذا بقي وماذا فني، الشرق الأوسط، 24 - 25 فبراير 2004.

(38) جهيمان، الفتى وأشرط الساعة، الرسائل السبع، ص 12، بدون تاريخ ولا ناشر.

(39) ذكر جهيمان في إحدى رسائله أنه كان يحضر دروساً في معهد الحديث التابع للجامعة الإسلامية، وحضور الدروس في المعهد كان مفتوحاً لكل من يرغب الحضور ولا يجب الانتظام في صفوفها، وهذا هو الذي أوهم بعض من كتبوا عن الحركة أن جهيمان تخرج من الجامعة الإسلامية.

1965، ونشط في الجماعة مسؤولاً عن الرحلات والجولات في القرى والهجر والبوادي، وأشرف على بيت الحرة الشرقية، وشارك في جولات دعوية في القرى والبوادي بلغة سهلة مبسطة للعامة، ودرس على صديقه مقبل بن هادي الوادعي وابن باز وبيدع الدين الراشدي السندي وحضر دروس الأمين الشنقيطي، والتقى بالألباني كثيراً في مواسم الحج. بقي مستوى جهيمان الاجتماعي متواضعاً، حيث كان حتى بداية السبعينات سائقاً في الحرس الوطني، ومالكاً لقطيع من الجمال والماشية كان قد ورثها من أبيه⁽⁴⁰⁾.

أصبح من المؤثرين داخل الجماعة منتصف السبعينات، وتسبب موقف غالبية أتباع الجماعة من بعض المسائل الفقهية التي تتعلق بأحكام الصلاة، والمحاريب في المساجد، وأذان الفجر، والموقف من أئمة المذاهب الأربعة وعلمائها وكتب المذهب الحنبلي، وقد تسبب اختلاف وجهات النظر في هذه المسائل بخلافات بين شباب الجماعة وشيوخها القدماء من جهة، وبين مدرّسي المسجد النبوي وفقهاء من أساتذة الجامعة وعلماء المدينة من جهة أخرى، وقد وجد جهيمان في الشباب غايته وأنصاره الذين يبحث عنهم.

واستطاع جهيمان الاستئثار بتأييدهم والوقوف معهم، على رغم أنه كان فيهم من يفوقه تحصيلاً علمياً ومعرفة بالشريعة، وقام بنقلهم إلى مرحلة أخرى كان عنوانها رفض المؤسسة الدينية ورفض علمائها والعداء للأسرة الحاكمة والتشكيك بشرعية حكمها للبلاد، ومع تواضع مقدرته على التأليف وضعف معرفته باللغة العربية الفصحى تحدثاً وكتابة، إلا أنه

(40) ناصر الحزيمي. مكتبة الملك فهد.

نجح في تأليف عدد من الرسائل، وكان ينشرها في البداية مغفلة من اسمه أملاها وساعده في صياغتها وتوثيق مصادرها شاعر الجماعة أحمد حسن المعلم ومحمد بن عبد الله القحطاني، الذي دعي بالمهدي لاحقاً كما سيأتي. وقد خضع مقبل الوداعي أثناء توقيفه في المباحث العامة للتحقيق والمساءلة بشأن رسائل جهيمان، وكانت الشكوك تدور حول دور الوداعي في تأليف تلك الرسائل التي تسبب إلى جهيمان، ولكنه أنكر ذلك⁽⁴¹⁾. ساءت علاقة جهيمان بالأب الروحي للجماعة عبدالعزيز بن باز منذ 1977، وقد تطرق لذلك في أكثر من موضع من رسائله.

تزوج جهيمان ثلاث مرات وأنجب عدداً من الأبناء، ومع ظهور أمارات تطرف الجماعة قامت الحكومة باعتقال بعضهم. لاذ جهيمان بالفرار، وبقي قرابة سنتين طريداً حتى ظهر في المسجد الحرام، وتمكن من دخول الكويت في عام 1979 تهريباً عبر الحدود⁽⁴²⁾، وقام بمتابعة طباعة

(41) سيرة ذاتية صوتية، ج2.

(42) كان التسلل عبر الحدود الكويتية السعودية نشطاً في تلك الفترة، وقد تمكن كثير من أعضاء الجماعة وأنصارهم في الكويت من السلفيين لسنوات من التخفي عن أنظار الجوازات وحرس الحدود، وقد تسلل القحطاني محمد بن عبد الله (المهدي) إلى الكويت، وكذلك أحمد المعلم الذي كان يشرف على طباعة الرسائل في مطابع مجلة الطليعة، ثم تسهيل عملية إدخالها إلى السعودية عبر أعضاء الجماعة الكويتيين، وكان أبرزهم جابر الجلاهمة، وعبد اللطيف الدرياس الذي قبض عليه في رمضان 1399/ أغسطس 1979، وبقي موقوفاً حتى احتلال المسجد الحرام، فبقي سجينا حتى 1986. وفي حديث أجراه الباحث مع أستاذ العلوم السياسية السابق بجماعة الكويت في أوائل شهر يناير 2006 في السالمية بالكويت، ذكر النفيسي أنه كان في شهر رمضان من العام 1399هـ/1979م في شوق عارم لأداء العمرة، ولكنه لم يكن يملك جوازاً يمكنه من دخول الأراضي السعودية بعد أن قامت الحكومة الكويتية بسحب جوازه عقب تأليفه لكتاب (الكويت والرأي الآخر)، ولكنه وجد من يعرض عليه المساعدة بتهييبه إلى داخل الحدود السعودية، وبعد دقائق من اجتيازهم الحدود أحاطت بهم سيارات أمن الحدود السعودي في "الرقعي"، فقبض عليه متكرراً باسم عبد اللطيف الفهد، ضمن عشرين شخصاً، وأدعوا السجن في المنطقة الشرقية لأكثر من شهر حيث أطلق سراحهم جميعاً بعد تدخل الشيخ سعد العبدالله الصباح ولي العهد الكويتي، ما عدا شخصاً واحداً هو صاحب "الوانيت الداتسون" عبد اللطيف الدرياس للتحقيق معه بشأن النشرات. عبد الله النفيسي، لقاء مع الباحث، الكويت، يناير 2006.

آخر رسائله وأكثرها أهمية هي (الإمارة والبيعة والطاعة) التي طبعت كغيرها من رسائل الجماعة في مطبعة الطليعة التجارية في الكويت.

كان جهيمان يتمتع بشخصية قيادية وبكرم ولطف أكسبه حب الشباب والمستجدين من الجماعة، ولكن ولي العهد السعودي الأمير فهد بن عبدالعزيز وصفه بأنه «رجل ساذج وعادي إلى درجة متناهية لا يستطيع حسن التعبير، لا من الناحية اللغوية ولا من ناحية التفكير حتى -إنه لا- يستطيع أن يكتب كتباً ويسجلها، وأنه لا يفهم شيئاً منك إذا تحدثت معه»⁽⁴³⁾.

استطاع جهيمان قيادة 250 من المسلحين في الأول من محرم 1400هـ / 20 نوفمبر 1979م واحتل بهم المسجد الحرام، وأعلن عن ظهور المهدي وطالب الناس بمبايعته وأعطى توجيهاته للمسلحين بإغلاق أبواب المسجد وبقتل كل من يعترضهم⁽⁴⁴⁾.

ورث الإخوان

كان جهيمان حتى بداية السبعينات موظفاً في الحرس الوطني في فوج ابن ربيعان، والأفواج عبارة عن فرق عسكرية يشغلها أبناء القبائل من قدامى المحاربين في جيش (الإخوان) ويتوارثها أبناؤهم، والإخوان (إخوان

(43) جريدة السفير اللبنانية 10 يناير 1980.

(44) خطبة بيعة المهدي في المسجد الحرام، التلفزيون السعودي، 22 نوفمبر 1978. وهي مفرغة في كتاب "وتموت الفتنة"، جريدة الندوة، 1980.

من أطاع الله) حركة إحياء دينية وهابية متقشفة ولدت نواتها في بادية نجد أوائل القرن العشرين، وترعرعت في الحواضر الثلاث والخمسين التي عرفت باسم (الهجر)، تيمناً بهجرة الرسول مستلهمة معنى الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام. اعتبرت مرحلة البدو فترة جاهلية منبوذة، ولقيت حركة الانتقال من البدو إلى القرى والهجر دعماً وتشجيعاً من قبل علماء الدين الوهابيين، وقرر السلطان عبدالعزيز بن سعود أن يوجه اهتمامه إلى حركة الإخوان كواسطة لتقوية وتثبيت قوته على العناصر الممزقة الكثيرة التي كان عليه أن يصارعها في نجد وكل أقاليمه الجديدة عموماً، ومنذ عام 1913 ومثل مقاتلو الحركة القوة الضاربة المخيفة في جيش الملك عبدالعزيز.

أثرت تلك الحركة المتشددة في بدو وسط الجزيرة العربية خلافاً للحضر، الذين كانوا يبدون وهابيين أكثر اعتدالاً. لاحظ عبدالعزيز أن الحركة صارت تسيطر على الأمور في نجد، ورأى ضرورة وضعهم تحت ضبط صحيح، كان هناك خطر من اندفاعهم بلا رادع ولا وازع، خارج نطاق حكمه في الشمال الشرقي حيث العراق والكويت. استمرت الخلافات تتفاقم وتمرد عليه أكبر زعمائها فيصل الدويش وسلطان بن بجاد العتيبي وضيदान بن حثلين.

جاءت مرحلة الصدام في معركة السبلة الشهيرة عام 1929 التي انتصر فيها عبدالعزيز نصراً ساحقاً، فلاذ الزعماء الثلاثة بالفرار، وبعد مداوولات ومراسلات أذعن سلطان بن بجاد مع خمسين رجلاً من أتباعه إلى الملك عبدالعزيز حيث أودع هو والقادة الآخرون في سجن

الأحساء الذي كان يخضع لإشراف عبدالله بن جلوي حاكم الأحساء القوي. بقي سلطان بن بجاد في سجنه حتى لقي حتفه عام 1933.

في الخمسينات توصل الملك عبدالعزيز إلى استنتاج مؤداه أن عصبية الإخوان البدو لم تعد تشكل خطراً على النظام، لأنها موجهة ضد «البدع» وإغراءات الحضارة العصرية، لذا أخذت الحكومة تولي اهتماماً كبيراً للمجندين من البدو⁽⁴⁵⁾.

أدرك جهيمان فترة رئاسة الأميرعبدالله بن فيصل بن فرحان للحرس الوطني (منتصف الخمسينات) وقد أكد جهيمان أنه لم يكن أحد من العاملين بالحرس-وقتها- يخلق لحيته⁽⁴⁶⁾، وقد جاء إنشاء الجماعة السلفية عام 1965 شحنة روحية لأبناء الإخوان، فكانت هي الحاضن الروحي لزهراء عشرين ألفاً من مجندي الحرس الوطني الذين كانوا يتمتعون بحس ديني وهابي، وبولاء للأسرة المالكة في وقت عاشت فيه البلاد بعض حركات التمرد داخل الجيش من ذوي التعليم العالي.

بعد إخماد تمرّد الإخوان في السبلة بقوا عاملاً سياسياً دينياً مهماً في البلاد، وبرغم عدم فتور تشددهم، إلا أنهم أصبحوا لا يشكلون تهديداً عسكرياً لنظام الحكم فشقوا طريقهم تدريجياً نحو كسب ثقة الحكومة، وأصبحوا يشكلون العمود الفقري للحرس الوطني والوحدات غير النظامية

(45) أليكسي فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ص 456.

(46) جهيمان، الفتن وأشرار الساعة، ص 12، الرسائل.

في الجيش، وقد كانت الحكومة تنظر إليهم باعتبارهم أشجع المواطنين الذين يلتزمون بالإسلام التزاماً شديداً فضلاً عن التزامهم بنظام الحكم الملكي الديني بوصفه النظام المناسب⁽⁴⁷⁾.

ذكرى أولئك الفرسان الأوائل سوف تكون عاملاً رئيساً في تشكيل رؤية جهيمان العتيبي وقد كان والده محمد واحداً منهم. بدأت كوامن تلك المشاعر الجياشة والحنين الجريح إلى مجد الآباء من الإخوان بالظهور لدى جهيمان وغيره من الإخوان الجدد منذ منتصف السبعينات⁽⁴⁸⁾.

وكان مآل الحلف الذي انضطر عقده بين الملك عبدالعزيز وبين الإخوان إحدى القضايا الهامة التي ستشغل تفكير جهيمان وظهرت بشكل واضح في رسائله، ومنها الفتن وأشراط الساعة، والإمارة والبيعة والطاعة⁽⁴⁹⁾، وقد وصف جهيمان حال الحرس الوطني عام 1977 في رسائله: «فأنت لن تجد في فوج كامل من الإخوان إلا ثلاثة أو أربعة»⁽⁵⁰⁾. وما ذكره يعبر عن تحوّل كبير مقارنة بالحال قبل عشرين عاماً حيث كان الإخوان هم الغالبية الساحقة.

(47) أليكسي فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ص 456.

(48) مشاري الذائدي، مصدر سابق.

(49) الحزيمي، مكتبة الملك فهد. أيضاً: الحزيمي، ذكرياتي مع جهيمان العتيبي، مصدر سابق.

(50) جهيمان، الفتن وأشراط الساعة، مصدر سابق.

مقبل الوداعي

ولد مقبل الوداعي في اليمن، وسافر إلى مكة وهو دون العشرين فدرس في معهد الحرم المرحتين المتوسطة والثانوية، ثم انتقل للدراسة في الجامعة الإسلامية، حيث حصل على الماجستير في علوم السنة، وبكالوريوس في أصول الدين، تلقى العلم على الألباني، وكان يحضر دروسه الخاصة التي يعقدها لكبار الطلاب، وحضر دروس ابن باز في صحيح مسلم في المسجد النبوي وتخصص في علم الحديث، وقد كان مفتي الجماعة: «كنت مفتي الجماعة ومدرسه»⁽⁵¹⁾، وكان صديقاً لجهيان حتى حدثت الفرقة بينهما بعد «انحراف» رآه في رسائل جهيمان. وجه إليه الأمن السعودي تهمة التحريض وتأليف رسائل جهيمان - كما سبق - فسجن لشهور ثم أبعده عن السعودية قبل أحداث الحرم بعام كامل، وتوفي عام 2001 بعد إصابته بتليف الكبد.

تحدث الوداعي عن علاقته بجهيان في سيرته الذاتية الصوتية، وذكر الخلاف والقطيعة التي وقعت بينهما، وقد أثنى جهيمان على الوداعي⁽⁵²⁾، ويتحدث الوداعي عن تلك المرحلة: «كنت أصحب الجماعة وأدرّس بعضهم وكانوا يعتبرونني مفتيهم، ونخرج في الرحلات، وكان فيهم ناس مستقيدون»، والوداعي هو أحد ثلاث شخصيات مؤثرة قامت الحكومة بإبعادهم وهم الألباني عام 1964، الذي بقي على صلة بالجماعة في زيارته

(51) مقبل الوداعي، سيرة ذاتية صوتية، مصدر سابق.

(52) جهيمان، الميزان في حياة الإنسان ص 163، رسائل قائد المقتحمين، رفعت سيد أحمد.

للعمره والحج، وبديع الدين الراشدي السندي في عام 1979 - كما سيأتي-،
ومقبل الوداعي 1978.

وفي 2001 ألقى الوداعي في مدينة جدة محاضرة ذكر فيها أنه
سئل مراراً عن انتقاده للسعودية في كتبه، فذكر أنه أمر من يقوم على طباعة
كتبه بأن يحذف منها مواضع الهجوم على السعودية، موضحاً أن كلامه كان
بسبب إبعاده من السعودية، وأنه كان في المدينة حين سجن أواخر السبعينات،
وبعد سجنه في المدينة والرياض خرج وهو لا يقول بتكفير الحكومة السعودية،
بل هو في خصام دائم مع من يكفرونها، وأنه عفا عنهم كما عفا عنه (53).

بديع الدين السندي

بديع الدين الراشدي السندي من أهل الحديث من سلفيي السند
في باكستان، ولد عام 1926، وهاجر إلى السعودية عام 1975، وأقام في مكة
أربعة أعوام، قام بالتدريس في معهد الحرم لستين بتزكية من رئيس شؤون
الحرمين عبدالله بن محمد بن حميد، ودرّس المحلّي لابن حزم الأندلسي.
مُنع من التدريس في المسجد الحرام بسبب آرائه الناقدة للفقهاء، فعقد

(53) مقبل الوداعي، مشاهداتي في المملكة العربية السعودية "44". وفي المخرج من الفتنة ص 78 ما يؤكد أن الوداعي رغم عدائه للسعودية طوال خمس عشرة سنة فقد كان يرى حكامها مسلمين، وأن احتلال المسجد الحرام من قبل جهيمان وأهل الحديث بغي وخروج على حكومة مسلمة. وقد خلت الطبعات الجديدة من كتبه التي أصدرها في الثمانينات من أي هجوم أو انتقاد للحكومة السعودية، كما هو ملاحظ في الطبعة الجديدة من كتابه "المخرج من الفتنة"، وكتابه الآخر "السيوف الباترة لإلحاد الشيوعية الكافرة"، الذي صدر قبل توحيد اليمن، وقد لمز السعودية في ثمانية مواضع من كتابه.

دروسه في منزله. أبعده الحكومة السعودية لكونه أحد المحرّضين لتمرّد الجماعة، بعد تصاعد الخلافات بين الجماعة و علماء المؤسسة الرسمية وتشديد الرقابة الأمنية، أبعده عن السعودية نهاية 1978، كان حادّ الطباع وشرساً في النقاش، وكان له صدامات مع علماء الأحناف في السند، وقد استمر على مواقفه كما يظهر من تسجيل صوتي مسجل عام 1991، وصف فيه فقهاء المذهب الحنفي بـ«المخانيث». ألف ما يقرب من 108 كتب معظمها في علوم السنّة، توفي في 8 يناير 1996 في كراتشي⁽⁵⁴⁾.

انقسام الجماعة

قاد جهيمان جناح الصقور داخل الجماعة، وبدأ الصدام مع معتدلي الجماعة ومنهم المرشد أبو بكر الجزائري الذي ساهم ضعفه وعجزه عن السيطرة على تمرّد الدماء الشابة في اتجاه الأمور نحو انشقاق أكبر. تعصّبت للجزائري مجموعة من بينهم قدماء الجماعة. في 1976 عقد اجتماع في بيت الحرة الشرقية، وكان الهدف من الاجتماع إعلان براءة شيوخ الجماعة من الآراء التي لا تمثلهم. وأعلن قدماء الجماعة شكواهم من انفراد جهيمان بالقرارات الهامة داخل الجماعة من دون الرجوع إليهم⁽⁵⁵⁾، وقد أشار وزير الداخلية السعودي الأمير نايف في مؤتمر عقده بوزارة الداخلية في فبراير 1980 إلى هذا الخلاف الداخلي بين الجماعة،

(54) محمد الأرنؤوط، جريدة الأسبوع الأدبي، ع 719. أيضاً علي حسن عبد الحميد الأثري، بديع الدين السندي، محاضرة صوتية، 25 فبراير 2005.

(55) الحزيمي، ذكرياتي مع جهيمان العنبي، ص 272.

وأن الجماعة بدأت بالتشدد قبل ثلاث سنوات من احتلال الحرم، مما جعل بعض الرجال الذين لهم بهم صلة يبتعدون عنهم ويختلفون معهم ويتبرؤون منهم⁽⁵⁶⁾.

وقد ذكر الوداعي بالتفصيل أسباب الخلاف في كتاب «المخرج من الفتنة»، وذكر أسماء من اختلف مع الإخوان من أساتذة الجامعة وعلماء المدينة، وبعض من اتهمهم بالوشاية ورفع التقارير الأمنية يقول فيه: «ولكن ضغط الحكومة وتكالب علماء السوء عليهم جعلهم ينفرون من المجتمع، وفي آخر أمرهم انقسم الإخوان إلى قسمين: قسم تبع جهيمان، وقسم تبع الجزائري، ونحن لا يهمنا انفصال الجزائري لأن له اتجاهها غير اتجاهنا، لكن يهمنا أنه اتبعه سليمان الشتيوي، وهو يعتبر رأساً في الدعوة، وكذا فالح (الحربي) أيضاً يُعتبر رأساً في الدعوة، فسعيننا في الصلح فأبى جهيمان أن يتعاون معهم في الدعوة، وقال: أنا أدعو إلى الله وهم يدعون على الله، وهم إخواننا، لكننا لا نثق بهم. يقصد أن هناك مجالس بينهم سرية بلغت الحكومة فمن بلغها؟ وفي آخر الأمر دُعيْنَا إلى دار الإخوان وحضر حماد الأنصاري والجزائري وتكلّمَا بكلام لا يليق وردّ عليهما الأخ سعد التميمي، وقال إنهم إخواننا»⁽⁵⁷⁾.

ومع كثرة مشاكل الطلاب في الجامعة مع أساتذتهم أخضع عدد منهم للمساءلة من قبل الأساتذة بقصد التحقق مع تحاشي الدخول معهم بالنقاش حول صحة تلك الأقوال⁽⁵⁸⁾.

(56) وتموت الفتنة، مصدر سابق.

(57) المخرج من الفتنة، الطبعة الأولى كاملة من دون حذف، الصفحات 141-144. أيضاً الطبعة الثانية، ص 109.

(58) الوداعي، سيرة ذاتية. وذكر الوداعي منهم أكرم ضياء العمري، أستاذ التاريخ السابق في الجامعة الإسلامية.

غاب جهيمان عن الاجتماع وانضم إليه أحمد المعلم وعلي المزروعى
وفیصل الیامی (العجمی)، وهو -كما سیأتی- من قام بإلقاء الخطبة
الشهيرة صبیحة احتلال المسجد الحرام، وكان أحمد المعلم الیمنی شاعر
الجماعة قد قبض علیه فی الكويت ورُحِّل إلى السعودية فی الیوم الثانی
لافتحام الحرم، وسجن سبع سنوات، وقد أسهم بكتابة رسائل جهیمان
العربی وقام بمراجعتها وتوثیق مصادرها مع محمد بن عبدالله (المهدی)
قبل طباعتها⁽⁵⁹⁾. أما فیصل الیامی (العجمی) فقد أشار إلیه فالج بن نافع
الحربی -كما سیأتی- وفیصل الیامی كان أكثر الجماعة معرفة بفکر ابن
تیمية وأحفظهم لأقواله.

وقعت صدمات للجماعة مع علماء نافذین مثل إمام وخطیب
الحرم النبوی رئیس محاكم المدينة المنورة عبدالعزیز بن صالح، وإمام
الحرم المدني ابن زاحم، والأستاذ فی الجامعة الإسلامية عبد القادر شبیة
الحمد، بسبب بعض الأحكام المتعلقة بالصلاة والمحاریب والأذان والموقف
من أئمة المذاهب الأربعة والتقلید⁽⁶⁰⁾.

جهیمان ینقل الجماعة إلى مرحلة جدیدة

استأثر جهیمان فی السنوات الثلاث الأخيرة من عقد السبعینات
بشؤون الجماعة بعد نجاحه فی إضعاف خصومه، ویؤكد استفراد جهیمان

(59) الحزیمی، مصدر سابق.

(60) الوادعی، المخرج من الفتنة، ص 109، الطبعة الثانیة.

وسيطرته على بيت الإخوان في الحرة الشرقية بالمدينة، ما ذكره فالح بن نافع الحربي من أنه اشتد الخلاف بينه وبينهم آخر الأيام، وأنه كان إذا زارهم في بيوتهم لمناصحتهم أغلقوا الباب في وجهه، ويقول: «ذات مرة قام جهيمان وفضل العجمي بإخراجه من بيت المسجد بالقوة قبل صلاة المغرب، اتهموني بكل التهم التي يتهمني بها الحزبيون اليوم»⁽⁶¹⁾، آذوني وطرودوني حتى أي خفت منهم أن يعتدوا علي»⁽⁶²⁾.

نقل جهيمان الجماعة إلى مرحلة جديدة بدأت بانتقاد علماء الحكومة الرسميين، أتبعها بنقد سياسي للحكم وطرح أسئلة عن شرعيته والتشكيك بحقيقة تطبيق آل سعود للشريعة، وقد سبقت الإشارة إلى تأثر أهل الحديث بجماعة التكفير المصرية. وقد أشار ولي العهد السعودي الأمير فهد بن عبدالعزيز إلى موقف الجماعة من الحكومة: «يأتي أفرادها إلى المساجد وإلى الناس البسطاء يحاولون إفهامهم بأن العقيدة الإسلامية بدأت تضعف في المملكة وأنه لا بد للقاعدة الإسلامية أن تنتبه»⁽⁶³⁾. لم يقصر جهيمان نقده على حكام السعودية بل أكد أن «حكام المسلمين اليوم لم يبايعوا الناس على ما بايع عليه الصحابة رسول الله»⁽⁶⁴⁾، ولكنه يؤكد أنه

(61) يقصد كتابة التقارير الأمنية.

(62) تسجيل صوتي في 7 ذو الحجة 1423هـ/9 فبراير 2003م، بمنزل ربيع بن هادي المدخلي، موقع سحاب. www.sahab.com. وقد ذكر الوداعي الخلاف بين فالح بن نافع وبين جهيمان، وأن كل المساعي للصلح بينهما قد فشلت بسبب تصلب جهيمان، وقد وصف الوداعي فالح بأنه رأس في الدعوة كما سبق. المخرج من الفتنة، ص 109، الطبعة الثانية.

(63) جريدة السفير اللبنانية، 10 يناير 1980.

(64) جهيمان، الإمارة والبيعة، رسائل قائد المقتحمين إلى الحرم، ص 65.

«لا يلزم من بطلان بيعتهم تكفيرهم، بل هم مسلمون بيعتهم باطلة» وهم «ليسوا من قريش لأنهم لا يقيمون الدين، بل يهدمونه ويحاربون ملته» وهو يصفهم بالمنافقين «فتراهم يظهرن الإسلام ويوالون الكفار والمشركين»، ويشنع على علماء الدين ويؤكد أن الدجال أهون منهم، لأن الدجال أمره ظاهر، وقد وصف جهيمان العلماء بـ «مشايخ المداهنة والمعاش والرتب والمراتب»، ويحرم جهيمان العمل عند هذه الفئة من الحكومات في الجيش والشرطة والوظائف عموماً كما يبدو والموقف تحريم العمل عندهم عريفاً أو شرطياً أو خازناً⁽⁶⁵⁾.

نشر أفكار الجماعة

حرصت الجماعة على توضيح موقفها من مسائل الخلاف التي نشبت بينها وبين خصومها عبر نشر رسائل صغيرة عرفت بـ(الرسائل السبع) إضافة إلى ثلاث أخرى، كانت تطبع في المطبعة التجارية لدار الطليعة في الكويت⁽⁶⁶⁾، ولكن من دون نشر أسماء المؤلفين، وقد عرضت أولى رسائل الجماعة (رفع الالتباس عن ملة إبراهيم) على الشيخ ابن باز، ولكنه طلب أن يعاد تحرير فقرة منها وكانت هي المرة الأولى والأخيرة التي عرضت فيها الرسائل عليه، وقد أصر ابن باز على إعادة تحرير الرسالة، ويبدو أن ملاحظته كانت حساسة إلى حد أنه هدّد بإصدار فتوى بخصوصها إذا لم يؤخذ برأيه، ولكن الرسالة كانت قد طبعت فاضطروا

(65) الإمارة والبيعة والطاعة، ص 65-86.

(66) عبد الله النيباري، لقاء أجراه معه الباحث في مكتبه في مبنى مجلة الطليعة في الكويت، يناير 2006.

إلى استخدام ختم حفر عليه ملاحظته، طبعت على جميع النسخ⁽⁶⁷⁾، وقد ذكر وزير الداخلية الأمير نايف بن عبدالعزيز أن نشرات الجماعة كانت مجهولة المصدر في البداية ولم يؤخذ عليها أي ملاحظات ذات قيمة⁽⁶⁸⁾.

وقد ذكر جهيمان بأنهم قاموا بعرض رسالة رفع الالتباس على كل من بديع الدين وابن باز فلم ينتقدا فيها شيئاً، «ثم قرأ بعض الإخوان الرسائل السبع ونصيحة الإخوان على الشيخ بن باز فما أنكر شيئاً إلا تخصيص هذه الدولة-السعودية- بالذات»⁽⁶⁹⁾. وقد ذكر جهيمان ابن باز في أكثر من رسالة باللوم تارة وبالمديح والثناء تارة «فخير من ينكر عليهم اليوم هو الشيخ عبدالعزيز بن باز -حفظه الله- ولكنه مستمر في الإنكار وهم مستمرين في المنكر»⁽⁷⁰⁾، وذكر الوادعي أنه أنكر على جهيمان ومن وافقه منذ بدأ بنشر رسائله وقاطعه⁽⁷¹⁾.

الموقف من الجماعات الإسلامية والشيعية

اتخذت الجماعة منذ منتصف السبعينات موقفاً ناقداً لأفكار جماعة الإخوان المسلمين الحركية، وجماعات الجهاد المصرية، ولكن

(67) الحزيمي، مكتبة الملك فهد. و لقاء مع الباحث، الرياض.

(68) وتموت الفتنة، ص77.

(69) يقصد تخصيصها بالذم والانتقاد. هذا النقل مثبت عندي في أوراقه منذ فترة عند الإعداد لهذا البحث، وقد كتبه بين قوسين، دلالة على التنصيص، ولكن مع الأسف كانت خالية من المصدر. وبعد البحث السريع لم أتمكن من عزوه إلى مصدره، وإن كان ظني أنه منقول من رسالة الإمارة والبيعة والطاعة.

(70) جهيمان، الإمارة والبيعة والطاعة.

(71) مقبل الوادعي، سيرة ذاتية مسجلة، ج2.

رسائلها التي كتب جهيمان معظمها كانت خالية من توجيه نقد صريح ومباشر، بل اكتفت بانتقاد النهج والأسلوب، وتزامن ذلك مع دخول عناصر أخرى من جماعة التكفير، كما تناولت الرسائل انتقاداً لنهج جماعة الدعوة والتبليغ في عرض الإسلام، وتهاون الحكومة السعودية مع الشيعة، وأنكرت على من ينادون بالقتال ضد الحكومات وهم بين ظهرائي أهل الباطل.

أعلن جهيمان صراحة براءته من تكفير الحكومة السعودية⁽⁷²⁾ لكنه انتقد من يدعو إلى تولي المناصب «في الحكم الجائر» لخدمة الإسلام⁽⁷³⁾، ووصف جماعة الإخوان المسلمين بأنها تتهج طريق تحكيم الأفكار والتخفي تحت أستار شتى، وتقوم بالغدر بمن يعملون تحت سلطانه، وأنكر عليهم اعتبارهم خطر الشيوعية أهم من الدعوة إلى التوحيد وذم الشرك وبيان السنّة الصحيحة⁽⁷⁴⁾، ووجه خطابه إليهم في فصل خصصه للدعاة «وأنتم تخالطون الناس وهم عندكم إسلام مهما تعددت عقائدهم وطرقهم ومذاهبهم، إنما المهم أن يوافقوكم على الاندماج في صفوف القوم وأخذ الشهادات العالية، والسيطرة على المراكز للغدر بهم لإقامة دولتكم الإسلامية... اندسستم بين الصفوف واندمجتم وغدرتم».

وقد أشار بشكل خاطف إلى جماعة التبليغ والدعوة منتقداً أسلوبها «مثل بعض الجماعات الذين يقولون إن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا

(72) جهيمان ملة إبراهيم، رفعت سيد أحمد، ص 425.

(73) الإمارة والبيعة، ص 89.

(74) جهيمان، ملة إبراهيم، رفعت سيد أحمد، ص 417.

إلى لا إله إلا الله ثلاثة عشر عاماً وهم لهم ستون عاماً لم يعرفوا ما تنفي وما تثبت لا إله إلا الله»⁽⁷⁵⁾، وهو ينكر على من يمرّ على الشرك والبدع ويقف عنده ولكنه لا ينكر إلا في خطبة الجمعة ومنذ عشرات السنين والشرك كما هو والبدع كما هي أمامه⁽⁷⁶⁾، وانتقد حال أكثر الجماعات «فبعضهم يركضون وراء الحكم، وبعضهم وراء الصوفية، مع ما في رؤسائهم من خرافات وبدع.. وهؤلاء الذين يريدون الحكم لايهتمون بعقائد الناس. همُّ الأولين الحكم وتقتيل الحكام، وهم الآخريين الزهد والأوراد الصوفية»، وانتقد (جماعة الحكم والاختيالات). وتساءل جهيمان «هل وجد في دين الإسلام من يأخذ الزكاة من الروافض ويعطيهم الإعانات ويعتبرهم من رعاياه، كما يعامل اليوم رافضة الجنوب والأحساء؟»⁽⁷⁷⁾.

التحضير للمهدي المنتظر

ولد محمد بن عبد الله التركي (القحطاني) تقريباً منتصف عام 1956، وكان طالباً في السنة الأخيرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وإماماً وخطيباً في مسجد الرويل بمنفوحة بالرياض. لم يكمل دراسته، تأثراً بأفكار الجماعة.

كان محمد بن عبد الله طالب علم مستقلاً بنفسه، وله عدد من الأتباع قصرُوا اهتمامهم على الحديث وعلم الجرح والتعديل وقد ترك

(75) مختصر رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رفعت سيد أحمد، ص 120.

(76) جهيمان، مداخل الشيطان لإفساد القلوب، الرسائل، ص 93.

(77) جهيمان، بيان الشرك وخطره، الرسائل، ص 39.

دراسته في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهو في السنة الأخيرة بعد تعرفه على أهل الحديث⁽⁷⁸⁾. «وكانت خطب الجمعة التي يلقيها القحطاني ذات تأثير على المصلين»⁽⁷⁹⁾، وقد ذكر سعيد وهو شقيق محمد الأكبر في لقاء مع التليفزيون السعودي بعد إنهاء الاحتلال بأن محمد حين قتل كان في الخامسة والعشرين من عمره، وقد أعدم سعيد بعد ذلك.

ولمحمد بن عبد الله رسالة واحدة ضمن رسائل الجماعة وهي (البيان والتفصيل في معرفة الدليل)، ونقل فيها عن مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب ودافع عن دعوته، واستشهد بكتاب (تيسير العزيز الحميد) من تأليف سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وقد اتخذ موقفاً ناقداً لتعليم أصول الفقه، ودعا إلى عدم الأخذ بها إلا بالأدلة والبراهين، وقد أوصى بقراءة كتب ابن تيمية وابن القيم ورسائل علماء الوهابية (الدرر السنية في الأجوبة النجدية)، وكتب الألباني، وانتقد التعليم الحكومي والمعاهد والكليات، لأنها تقوم على معصية الله بالصّور المحرّمة⁽⁸⁰⁾. وقد آمن في السنة الأخيرة بأنه المهدي وشارك في احتلال الحرم المكي، وطالب المصلين بأن يبايعوه بين الركن والمقام مهدياً مخلصاً للأمة، وقتل في صحن المسجد في 24 نوفمبر 1979.

(78) الحزيمي، ذكرياتي مع جهيمان العتيبي. منذ نهاية 1977 ظهرت أفكار تكفيرية على بعض أعضاء الجماعة الذين يدرسون في جامعة الإمام محمد بن سعود، وجرت نقاشات بين أعضاء الجماعة وبين ومن يخالفهم من زملائهم في السكن الجامعي، وكان بعض أتباع الجماعة يصدرون أحكاماً بتكفير من يخالفونهم من زملائهم. ثم انقطعوا عن الدراسة. لقاء أجراه الباحث مع محمد المنصوري نائب رئيس جمعية الإصلاح برأس الخيمة في 5 أبريل 2009. وقد دخل المنصوري في نقاش مع أعضاء الجماعة أثناء فترة دراسته في الجامعة.

(79) محمد أحمد الحاج، في حديث مع الباحث في العاصمة الأردنية عمان، أبريل 2006. وقد كان الحاج مدرساً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض عام 1399-1400هـ/1979م. وحضر بعض خطب القحطاني.

(80) محمد بن عبد الله، البيان والتفصيل، رفعت سيد أحمد، ص160 - 164.

السجن

قامت الحكومة باعتقال عدد من أعضاء الجماعة مرتين⁽⁸¹⁾، وتعددت أسباب السجن، فقد أشار ولي العهد السعودي الأمير فهد بن عبدالعزيز إلى أن أعضاء الجماعة سبق أن أوقفوا وأخذت عليهم التعهدات وأفرج عنهم بشفاعة أحد العلماء⁽⁸²⁾، وهناك من ذكر بأنهم سجنوا بتهمة جمع تبرعات لبناء مساجد لم يكن لها وجود، بقصد استخدامها في شراء الأسلحة وتكديسها في المخازن، وقد كانت الجماعة تحصل على تبرعات من الأثرياء من القصيم وغيرهم، إما مباشرة وإما بواسطة ابن باز، وقد فكرت الجماعة بتوفير مصادر دخل ثابتة إضافة إلى التبرعات، وقام أحد أعضاء الجماعة بإنشاء مخبز شاركه فيه مرشد الجماعة أبوبكر الجزائري وبعد خلافات فضت الشراكة وبيع المخبز⁽⁸³⁾.

وقد أفرجت الحكومة عن سجناء في المرة الأولى بعد أربعين يوماً، وفي قصيدة لشاعر الجماعة أحمد المعلم إشارة إلى الوشايات التي كانت ترفع إلى الحكومة يقول فيها:

وبهتّمونا بالقبائح كلها وعرضتمونا بالقناع الأسود
ورفعتمونا للولاة تشفياً وفرحتمُ بهتدُّ وتوعُد⁽⁸⁴⁾

(81) الوادعي، المخرج من الفتنة، ص 109. الطبعة الثانية.

(82) جريدة السفير اللبنانية، مصدر سابق.

(83) الحزيمي، مكتبة الملك فهد.

(84) الرسائل 434، رفعت سيد أحمد.

ويبدو أن الحذر من المخبرين والجواسيس كان مسيطراً في تلك الفترة، فقد فاضت قريحة جهيمان نفسه وهو هارب بقصيدة متوجعة من عشرين بيتاً تحكي حزنه وشوقه إلى من اعتقلوا ويهجو فيها المخبرين ويقول فيها:

ولا أنت يا الجاسوس مرسل فجار يجيك حظك يا طوير الفراشي
ياعيد ما جيتوا من السجن باخبار من بعدهم ياعيد كثر طلاشي⁽⁸⁵⁾

وعيد الذي يخاطبه جهيمان هو عيد الشابي زوج الأخت الصغرى لمحمد بن عبد الله القحطاني (المهدي)، وقد أعدم مع من أعدموا⁽⁸⁶⁾، وقد ذكر الوداعي أن عبدالقادر شيبة الحمد كان محرضاً ضد الجماعة ويتهم الإخوان بأنهم أتوا لمخالفة علماء الدولة والحكومة⁽⁸⁷⁾.

قامت السلطات السعودية باعتقال أعضاء الجماعة مرتين، وكان من بين من اعتقل محمد بن عبد الله، ثم أطلق سراحه ضمن من شملهم العفو بعد أخذ التعهد عليهم. المرة الأولى كانت قبل سنة من احتلال الحرم، وقد ذكر ولي العهد الأمير فهد في مقابله مع السفير أن محمد بن عبد الله سبق إيقافه قبل عام ثم أفرج عنه⁽⁸⁸⁾.

(85) جهيمان، الميزان في حياة الإنسان، الرسائل ص179.

(86) الحزيمي، مكتبة الملك فهد.

(87) المخرج من الفتنة ط1، وسيرة ذاتية صوتية ج2.

(88) جريدة السفير، مصدر سابق.

لاذ جهيمان بالفرار والتخفي، وقد تعرض لأسباب فراره وتخفيه موضعاً أنه ليس أمامه إلا أن يوافق الحكام في مخالفتهم، أو أن يناصحهم وهم لا يحبون الناصحين، وهو أيضاً لا يريد قربهم وليس أمامه إلا السكوت ولكنه لن يسكت فلم يبق إلا الثالثة وهي (القتل). ولكنه لن يخدع فيسلم نفسه لأنه «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (في إشارة منه إلى من استسلم بعد السبلة 1929 من الإخوان) «فافهم ولا تتخدع بحملة الفقه وبمن يأخذ بجانب واحد من الكتاب والسنة ويقول: هذا من الجبن والخوف والذل»⁽⁸⁹⁾، وقد ذكر جهيمان أن هناك من أشار على الحكومة بقتله «فمنهم من قال في شأني وشأن الإخوان اقتلوهم فإنهم خوارج، ومنهم من قال اسجنوهم فإنهم متمردون»⁽⁹⁰⁾.

أفرج عن الموقوفين بعد شهرين بوساطة قام بها ابن باز، ويبدو أن ابن باز كان هو الضامن للجماعة أمام الملك، فقد أشار الأمير نايف إلى أن «دعوة الجماعة وأسلوبها عندما بدأ منذ سنوات كان منحصراً في الدراسة والمناقشة، ولم يكن ثمة اختلاف بخصوص نشاطها، وأن الجماعة كان يقتصر نشاطها على الندوات العلمية في المساجد والحلقات الدراسية. ولكن الانحراف ظهر في السنوات الثلاث الأخيرة»⁽⁹¹⁾، وذكر ولي العهد آنذاك الأمير فهد أن الحكومة كانت عندما تقوم بسجن بعض الجماعة «يكون هناك من يشفع لهم ويؤكد أنه ليس وراءهم خطر يذكر»، وأشار

(89) الإمارة والبيعة، الرسائل ص 85.

(90) مصدر سابق، ص 78.

(91) وتموت الفتنة، ص 89.

إلى أنه جرى اتخاذ إجراءات ضدهم وسجنوا ولكن «تدخل بعض الإخوان للإفراج عنهم عن حسن نية، لأن من تدخل كان يعتقد أنهم ربما يكونون مفيدين للدعوة، ولكن تبين للإخوة أن قصدهم سيء ويخالف كتاب الله وسنة رسوله ووقفوا ضدهم وبيّنوا انحرافهم»⁽⁹²⁾.

إعلان الدعوة وحشد الأنصار

قام جهيمان عام 1978 بتأليف رسالة عن أشراط الساعة أشار فيها إلى أنه كان بدأ بحث أحاديث الفتن وأشراط الساعة وظهور المهدي منذ ثماني سنوات⁽⁹³⁾، وقام بتفسيرها وتطبيق بعض مآلاتها على الملك عبدالعزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية وخلفائه في الحكم.

منذ نهاية العام 1977 سيطرت على جهيمان العتيبي ومحمد بن عبدالله فكرة ظهور المهدي في أوائل القرن الخامس عشر الهجري، وتضافرت أفكار الجماعة على أن محمد بن عبدالله هو المهدي المنتظر، واستأنست الجماعة ببعض الرؤى والمنامات التي رآها العشرات منهم وتؤكد مهدية محمد بن عبدالله، قوبلت هذه المنامات التي كان يجري الحديث عنها بشكل سري باستهجان من قبل العلماء الذين كان لهم صلة

(92) جريدة السفير. أيضا: وتموت الفتنة، ص 49-50.

(93) أي تقريبا منذ 1970، وهي لا تؤكد نية مبكرة عند جهيمان للإعداد لما حدث بعد ذلك من بيعة المهدي واحتلال المسجد الحرام، لأن العادة استقرت على أن القراءة في كتب الفتن والملاحم وأشراط الساعة من جملة اهتمامات معظم المتدينين و(المطاوعة). وإن تفاوتت مستويات معرفتهم بالشريعة.

وثيقة بالجماعة، وأحدثت خلافاً بين حلفاء جهيمان داخل الجماعة، ولم يُفصَح عن هذه المنامات التي تبشّر بمحمد بن عبد الله مهدياً منتظراً بشكل علني إلا في بداية العام 1979، وقد أشار جهيمان إلى اعتناؤه بدراسة أحاديث المهدي⁽⁹⁴⁾.

وقد توثقت علاقة جهيمان ومحمد بن عبد الله بالمصاهرة، ويُذكر أن سعد القحطاني شقيق المهدي كان يردّد بأن عائلتهم قدمت مع القوات التركية في أواخر القرن التاسع عشر، وأقامت في عسير، وأن نسبهم يعود إلى الأشراف ولهذا اصطحبهم الأتراك من أجل البركة وتفاؤلاً بالظفر، وهو تقليد كان معروفاً في جيوش الأتراك الغازية، فصاهروا قبائل الجنوب ثم انتقلوا إلى الرياض⁽⁹⁵⁾، وقد ذكر الأمير نايف في ندوة أقامتها جامعة الرياض في 9 يناير 1980 بأن «المهدي رجل مصري وليس بتركي، وأن والد المهدي أفاد بأن جده وصل إلى منطقة عسير أثناء غزو الأتراك لعسير وسمي باسم القبائل هناك، وأنه لاعلاقة له بقريش أو نسب الرسول»⁽⁹⁶⁾، وذكر الحزيمي أن كتاب (إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة) كان موجوداً في كل مكاتب الإخوان، وأن جهيمان كان يهتم بشكل مكثف بالرؤيا كلما اجتمع بأصحابه، ويسألهم إن كان منهم من رأى رؤيا، ويقول «لقد عُرف جهيمان كمؤول ومفسر للأحلام مبكراً في مسيرة الجماعة، وبعد منتصف 1978 سيطرت الرؤى على الجماعة ومنها رؤى

(94) جهيمان، أشراط الساعة، الرسائل، ص 18.

(95) ذكر ذلك الحزيمي في لقاءه مع مكتبة الملك فهد مؤكداً أن سعداً شقيق المهدي ذكر ذلك له.

(96) وتموت الفتنة ص 73.

تتفر من العمل في مؤسسات الحكومة، وكان الشيخ علي المزروعى يحذّر من اعتماد الأحلام كمحرك لتوجه الجماعة»⁽⁹⁷⁾.

في أغسطس 1979 أصدر جهيمان رسالته الأخيرة مكتوبة باسمه الصريح، وقد تولى متابعة طباعتها بنفسه حيث استطاع دخول الكويت عبر الحدود البرية في فترة كان فيها مطلوباً لأجهزة الأمن السعودية، وقام محمد بن عبد الله بنشر رسالته الوحيدة عن العلم والعلماء (البيان والتفصيل) ونشر اسمه معلناً لرفقائه أن الخوف قد زال من قلبه ولا داعي لإخفاء اسمه⁽⁹⁸⁾.

(97) الحزيمي، جريدة الرياض، 6 سبتمبر 2004. أوصى جهيمان في رسالة (الفتن وأشرار الساعة) بقرءاء هذا كتاب (إتحاف الجماعة) "مع الحذر من الروايات الضعيفة فيه" مشيراً إلى أن الشيخ التويجري قد نبّه إلى بعضها "وللشيخ قدم راسخة في هذا الباب زاده الله توفيقاً". الكتاب من تأليف حمود بن عبد الله التويجري، (1913-1992)، وهو فقيه حنبلي، نجدي ولد في المجمعنة شمال غرب الرياض وألّف 41 كتاباً، بعضها ردود على خصوم دعوة محمد بن عبد الوهاب وابن تيمية، وبيان لموقفه من المخترعات والعادات والتعليم والإعلام، وهي تتصف برؤية متشددة تنجح إلى التحريم والتبديع، وكتب التويجري هي مرجع عند متشددى الوهابية في العقائد والسلوك والعادات، وكانت كتبه عمدة عندهم لما يقارب أربعين عاماً، منذ الخمسينات من القرن الماضي. وقد صدر كتاب (إتحاف الجماعة) في 1974، وبعد حادثة الحرم 1981 كتب مفتي قطر عبد الله بن زيد المحمود رسالة (لامهدي منتظر بعد الرسول خير البشر)، يضعف فيها أحاديث المهدي، فكتب التويجري مجلداً يردّ فيه على المحمود (الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر) 1983، من منشورات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء السعودية، وقدم له رئيسها عبدالعزيز ابن باز. دافع فيه التويجري عن عقيدة المهدي وأكد صحة الأحاديث الواردة فيه، ولم يأت على ذكر مهدي جهيمان بشيء، وقد كان كتاب التويجري (إتحاف الجماعة) عمدة عند جهيمان وأتباعه، وقد كتب التويجري قبل وفاته كتاباً عن (الرؤيا) 1991 جاء في خاتمته ص 196 "ومن الأحلام التي لا شك أنها من تلاعب الشيطان بالجهال ما وقع للفتنة التي فارقت الجماعة وأحدثت في الحرم في أول سنة 1400هـ ومنعت الناس من الصلاة في المسجد الحرام ومن الطواف بالكعبة نصف شهر، فقد ذكر عن غير واحد منهم أنهم رأوا في المنام أن صاحبهم الذي ادعوا فيه المهديّة هو المهدي الذي أخبر رسول الله أنه يخرج في آخر الزمان، فكانت النتيجة من هذه الأحلام الشيطانية أن فارقوا الجماعة وفضلوا الأفاعيل الشنيعة في حرم الله تعالى إلى أن يسّر الله القبض عليهم والحكم عليهم بالإعدام، ففرّهم الشيطان بالأحلام الكاذبة ثم تخلّى عنهم وأسلمهم للقتل. نعوذ بالله من مكاييد الشيطان وأضاليه".

(98) الحزيمي، لقاء مع الباحث، الرياض.

أجهزة الأمن ترصد الحدود

منذ أغسطس 1979 نشطت الجماعة في توزيع رسائلها في عدد من مدن السعودية في مكة والمدينة والرياض والقصيم وحائل، على إثرها تضاعفت الحملات التفتيشية والمداهمات التي كانت تقوم بها أجهزة الأمن السعودي بحثاً عن مطلوبين من الجماعة وعلى رأس القائمة جهيمان.

ضبط حراس الحدود شحنة مهربة من الكويت على الحدود في رمضان 1399هـ/أغسطس 1979م، وكانت تحتوي على ألوف النسخ من رسالة جهيمان (الإمارة والبيعة والطاعة) وهي آخر رسالة كتبها، وكانت هجوماً قاسياً على الأسرة الحاكمة وعلماء الدين الرسميين، ولكنه كان يتبرأ من القول بكفر الحكومة ويتصل منه، وقد أشار إلى أنه كان يبتعد عن الكلام في الحكم ومسائل التكفير، «أما الآن فقد أُجبرتُ لدفع التهمة عني وعن إخواني، ولبيان الحق لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»⁽⁹⁹⁾.

ذكر جهيمان بأنهم عرضوا معظم الرسائل على ابن باز فلم ينكر إلا تخصيص الحكومة السعودية بالنقد، «فلم نوافق عليه لاعتقادنا أنه حق يزول به اللبس على كثير من الناس». وقد ذكر وزير الداخلية الأمير نايف ذكر أنهم أبلغوا وزارة الداخلية الكويتية بشأن نشرات الجماعة التي

(99) الإمارة والبيعة، الرسائل ص 58.

ظهرت في رمضان 1399 هـ/1979م وذكر أن «النشرات كان يلمس منها خروجهم ومخالفتهم للقواعد الشرعية وإجماع المسلمين»⁽¹⁰⁰⁾.

ازدادت عزلة جهيمان عن العلماء المتعاطفين وكثرت خلافاته مع بعض قيادات الجماعة بسبب موقفه المتشدد من ابن باز وغيره ممن كان يصفهم بعلماء الحكومة، وفي الثلث الأخير من عام 1979 عمل جهيمان على الالتقاء بأعضاء الجماعة ممن طوهم جناحه في أماكن متعددة بشكل سري وبعيداً عن أعين الأمن⁽¹⁰¹⁾، وعرض عليهم فكرة مبايعة المهدي محمد بن عبدالله في المسجد الحرام بمكة المكرمة لقيادة الأمة الإسلامية، وقد اختلف معه كثيرون ووافقوه آخرون، وفي موسم حج 1399هـ/1978م لوحظ كثرة الأسئلة عن حقيقة ظهور المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً مع حلول القرن الهجري الجديد، والمنامات التي (تواطأت) عن ظهور مهدي آخر الزمان.

وقد ذكر الألباني أن الأسئلة عن خروج المهدي كثرت في الحج تلك السنة، «ناقشوني عن أن المهدي قد خرج وذكروا مدينة حائل، وأن

(100) وتموت الفتنة، ص 77-83. وذكر محمد المجذوب الأستاذ في الجامعة الإسلامية أن قادة المقتحمين إلى الحرم كتبوا رسائل أودعها خلاصة ما استقر في قلوبهم من الأفكار التي كشفت شذوذهم.. "والعناد والغرور أراهم أن كل فهم انتهى إليه كبار علماء العصر خطأ بل ضلال"، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الخامس والأربعون، 1980.

(101) اجتماعات التحضير للاحتلال كانت تجري في عدد من الأمكنة منها مزرعة الحضيبي في العمار غرب العاصمة الرياض كما ذكر ذلك ناصر الحزيمي. في لقائه مع مكتبة الملك فهد، وذكر الأمير نايف أن "الاجتماعات كانت تجري أحياناً في الحرم، وهناك اجتماعات صغيرة، ولكن قرار دخول الحرم حصل في النصف الثاني من شهر ذي الحجة 1399". وتموت الفتنة ص83.

المهدي اسمه محمد بن عبدالله القحطاني، وكان عمره أربعة وعشرين عاماً، فقلت لهم المهدي من عندنا نحن في الشام وليس عندكم، واستدلوا بمنامات وأحاديث ليلة القدر وأن الرسول قال: «أرى رؤياكم قد تواطأت»، فقلت لهم لكنكم لستم الصحابة... زرت المدينة بعد الحج واستضافني على بن مشرف العمري الذي اشتهر بأنه يعالج الناس بالرقية، وأثار بعض من حضر الموضوع معي مرة ثانية وقاموا بتسجيل اللقاء، وبعد عودتي إلى الشام بثلاثة أيام سمعت من الراديو أن جهيمان احتل الحرم، فتذكرت النقاش الذي جرى في المدينة... وبعد أن قبضت السلطات السعودية على العمري وجدت الشريط الصوتي الذي سُجلت به الجلسة التي دار بها النقاش فدعم ذلك موقفي»⁽¹⁰²⁾.

وقد قارن الألباني بين مهدي جهيمان وبين القاديانية، ووصف أتباع جهيمان بالأشرار⁽¹⁰³⁾، وقد أشار ابن باز في فتواه التي أصدرها مباشرة بعد احتلال الحرم إلى مسألة المنامات وأن اعتمادها في إثبات كون فلان هو المهدي هو مخالف للأدلة الشرعية ولإجماع أهل العلم والإيمان⁽¹⁰⁴⁾.

ويبدو أن بعض الحجاج الذين أشيع بينهم أن المهدي سيخرج في مطلع القرن الهجري بقوا في مكة ينتظرون خروجه ليبايعوه قبل رجوعهم إلى بلادهم⁽¹⁰⁵⁾، وهذا ما يؤكد أن بعض من بايع وشارك في

(102) الألباني، سيرة ذاتية صوتية، ج.3.

(103) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الجزء الخامس ص 278. المكتب الإسلامي، بيروت، 1983.

(104) مجلة البحوث الإسلامية، العدد الخامس. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1400هـ/ فبراير 1980.

(105) حمود العقيل، خطبة الجمعة، جريدة الرياض، 2 ديسمبر 1979.

دعم المقتحمين كانوا ممن اتخذوا قرارهم من داخل المسجد صبيحة اليوم الأول للاحتلال، وقد سجن مصريون كانوا حجاجاً على خلفية مبايعتهم للمهدي في الحرم، حيث سجن أجهزة الأمن منهم 150 أطلقت سراحهم باستثناء ثلاثين منهم قضى بعضهم سنوات في السجن⁽¹⁰⁶⁾.

في 25 ذي الحجة 1400هـ/15 نوفمبر 1979م، اجتمع جهيمان بعشرات من أتباعه في الطائف وعرض عليهم فكرة مبايعة المهدي محمد بن عبد الله القحطاني واقتحام المسجد الحرام وهم مدججون بالسلاح أمام الكعبة في صبيحة اليوم الأول من محرّم 1400 للهجرة. تردد كثيرون ووافقه البعض وأنكر عليه آخرون واعتزلوه، وطائفة بقيت مترددة وحسمت أمرها في اللحظات الأخيرة، بينما فضلت جماعة الحضور ومراقبة الأوضاع، وحسب وزير الداخلية السعودي فقد اتُخذ قرار حمل السلاح ليلة العشرين من نوفمبر (أي ليلة احتلال المسجد الحرام)، وقد أظهرت التحقيقات أن بعض من شاركوا في الاحتلال بقوا مترددين في حقيقة المهدي حتى نهاية ذي الحجة، وأنهم لم يقرروا دخول الحرم بالأسلحة إلا في 25 ذي الحجة⁽¹⁰⁷⁾. وقد أجرى التلفزيون السعودي مقابلات مع بعض من بايعوا المهدي ودعموا المقتحمين، وكان منهم شخص ذكر أنه لم يعرف المهدي إلا صبيحة الإعلان عن بيعته أمام الكعبة ولم يسبق له أن رآه أو سمع به.

(106) الأحرار المصرية - 7 يوليو 1986.

(107) وتموت الفتنة، ص 77.

نهاية الأسطورة

فجر يوم الثلاثاء الأول من شهر محرم 1400 للهجرة/20 نوفمبر 1979 اقتحم جهيمان مع 250 مسلحاً المسجد الحرام وأعلنوا ظهور المهدي محمد بن عبد الله الهاشمي الحسيني من ذرية فاطمة، ودعوا إلى مبايعته وأغلقوا أبواب الحرم، وتوزعوا على منائر المسجد ومدخله، وقد أصدرت هيئة كبار العلماء فتوى بضلال المقتحمين والتحذير من فتنة المهدي المزعوم، وأصدر ابن باز فتوى أخرى تؤيدها⁽¹⁰⁸⁾. قامت الحكومة السعودية بعد أسبوعين بتحرير المسجد الحرام في 3 ديسمبر 1979.

لقي محمد بن عبد الله المهدي حتفه في اليوم الرابع من الاحتلال، وقتل 177 من أتباع المهدي وقامت القوات السعودية بالقبض على من تبقى منهم وعلى رأسهم جهيمان، وفي التاسع من يناير 1980 أعدم 63 من المشاركين في الاحتلال منهم جهيمان. وحكم بالسجن على عشرات من الرجال و12 امرأة⁽¹⁰⁹⁾.

(108) مجلة البحوث الإسلامية، مرجع سابق.

(109) وقد ذكر الأمير نايف أن مجموع النساء والأطفال كان 23، منهم 10 نساء و 13 صبياً، جريدة الندوة، 26 صفر 1400 هـ/ 15 يناير 1980م. وذكر محمد عبد الله مليباري عن أحد الشهود الذين تمكنوا من دخول الحرم في اليوم الثاني للاحتلال وهو محمد عبدالقادر مكاوي أن ثلاثة من المسلحين المقتحمين من بينهم امرأة كانت تحمل سلاحاً أبيض بيدها، قامت بتفتيشهم ثم امرتهم بمبايعة المهدي الذي كان واقفاً في صحن المطاف، وتموت الفتنة، ص 204.

اللحظات الأخيرة

سرت شائعات عن لحظات القبض على جهيمان، وأيامه الأخيرة في زنزانته، فمنها ما يصفه بالشجاعة المفرطة ورباطة الجأش وتحديه للمحققين ومن قبله من الأمراء، في المقابل يذكر بعض رفقائه أنه ضعف كثيراً أثناء التحقيق وأدلى بمعلومات تسببت بسجن أشخاص لم تكن أجهزة الأمن تعرف عنهم شيئاً⁽¹¹⁰⁾.

يؤكد مصدر أمني-فضل عدم ذكر اسمه- أن جهيمان بدا هادئاً وواثقاً من نفسه أثناء استسلامه: «وجدناه جالساً فوق كومة من الذخيرة في إحدى غرف الخلوة في المسجد، كان في هيئة استعداد، وفي زاوية يمكنه فيها إطلاق الرصاص، ولكنه لم يفعل. سألوه من أنت؟ فقال أنا جهيمان العتيبي. انقاد لهم بسلاسة، ولم يتمكنوا في البداية من تأكيد هويته، فعُزل عن بقية زملائه الذين استسلموا، بعد ساعات تعرف عليه جندي زامله في الحرس الوطني، قال: نعم أعرفه، إنه سائق الشاحنة. كان جهيمان ضعيفاً من آثار الحصار في الخلوات، وكان يعاني من إصابة في يده. كان متمسكاً بحقيقة المهدي محمد بن عبدالله، وقال: لقد تأكدت من نسبه وكلفت إسماعيل راعي رابع بأن يتقصى الأمر، وتأكد لي ذلك وجاءت الرؤى مبشرة وزادتني يقيناً. وقد أنصت جهيمان بكل هدوء إلى نصيحتي وأنا أخوفه بالله. قلت له: كيف تستحل بيت الله الحرام، وهي لم تحل إلا ساعة من نهار للرسول

(110) الحزيمي، مكتبة الملك فهد. وذكر أن أحمد المعلم أفضى إليه حينما اجتمعا في سجن المباحث العامة أثناء التحقيق بأن جهيمان كان كريماً في المعلومات مع المحققين.

من دون غيره؟ كان يصغي إلي باهتمام، ثم قال: أقسم بالله أنه لو كنت أعلم أن الأمور ستؤول إلي ما حصل لما أقدمت على قيادة جماعتي بالسلاح في المسجد الحرام. ثم سألتني عن اسمي وعائلي، وقال لي: لقد ارتحت إليك، وأسأل الله أن يجمعنا في الجنة، وطلب أن أحضر له موزة ليأكلها، أحضرتها له وطرحته عليه سؤاليين عن مصادر تمويل الجماعة، ثم ودعته⁽¹¹¹⁾.

(111) لقاء أجراه الباحث مع المصدر في دبي، مارس 2010.